



أحكام الذميين في الفقه الإسلامي

2021

درجة الماجستير

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

Rizgar Idrees Abdullah

المشرف

Prof. Dr. Fahrettin ATAR

أحكام الذميين في الفقه الإسلامي

İslam Hukukunda Zimmilerin Hak ve Sorumlulukları

Rizgar Idrees Abdullah

المشرف

Prof. Dr. Fahrettin ATAR

الجمهورية التركية

جامعة كاربوك

معهد الدراسات العليا

رسالة لنيل درجة الماجستير

في قسم العلوم الإسلامية الأساسية

كربوك

آيار 2021

المحتويات

1	المحتويات
3	صفحة الحكم على الرسالة (باللغة التركية)
4	صفحة الحكم على الرسالة
5	DOĞRULUK BEYANI
6	تعهد المصادقية
7	الشكر والتقدير
8	مقدمة
9	ملخص (باللغة التركية)
10	ملخص الرسالة
11	ملخص (باللغة الإنجليزية)
12	بيانات الرسالة (باللغة التركية)
13	بيانات الرسالة للأرشفة
14	بيانات الرسالة (الإنجليزية)
15	الاختصارات
16	سبب اختيار الموضوع
16	أهمية البحث
16	منهج البحث
16	الدراسة السابقة
17	خطة البحث
18	الفصل الأول: المفاهيم والتعريفات
18	المبحث الأول: مفهوم دار الإسلام ودار الحرب
18	أولاً: دار الإسلام
21	ثانياً: دار الحرب
24	المبحث الثاني: غير المسلم وأقسامه
24	المطلب الأول: تعريف الذمي
25	المطلب الثاني: أقسام غير المسلم الأخرى
25	أولاً: المعاهد
26	ثانياً: محارب
26	ثالثاً: المستضعف
27	رابعاً: المستأمن
27	خامساً: الكافر غير المعترض
28	الفصل الثاني: حقوق وواجبات وبعض أحكام الذميين
28	المبحث الأول: مشروعية وحكمة عقد الذمة
30	المبحث الثاني: حقوق الذميين
30	أولاً: ضمان حرية المعتقد

35	ثانياً: حرية القيام بالعبادة وضمان أمان دورها
41	ثالثاً: المعاملة الحسنة وحسن العشرة
44	رابعاً: العدالة في معاملتهم
51	خامساً: التكافل الاجتماعي
55	سادساً: حمايتهم
57	المبحث الثالث: واجبات الذميين
57	المطلب الأول: الجزية
58	المطلب الثاني: الخراج
60	المطلب الثالث: العشر
60	المطلب الرابع: تجنب الأفعال المخالفة للمجتمع الإسلامي
60	المبحث الرابع: بعض الأحكام الفقهية للذميين
60	المطلب الأول: الحكم بين الذميين في مخاصمتهم
62	المطلب الثالث: أنحكة الذميين
62	المطلب الثالث: إسلام الزوجين أو أحدهما
63	المطلب الرابع: إلقاء السلام على الذميين
64	المطلب الخامس: تهنيتهم بأعيادهم
64	المطلب السادس: تشييع جنائزهم، وتعزيتهم، وزيارة قبورهم
67	المطلب السابع: التهادي بين المسلمين وأهل الكتاب
69	المطلب الثامن: أحكام متفرقة حول أهل الذمة
71	الفصل الثالث: بعض الشبهات حول الذميين والرد عليها
71	المبحث الأول: دعوى انتشار الإسلام بالسيف
74	المبحث الثاني: دعوى وجود العنف والإرهاب في الإسلام
78	المبحث الثالث: مسألة كبت الحريات وهضم الحقوق
82	الخاتمة والنتائج
84	فهرس المصادر والمراجع
90	السيرة الذاتية

TEZ ONAY SAYFASI

Rizgar Idrees Abdullah tarafından hazırlanan “İslam Hukukunda Zimmilerin Hak ve Sorumlulukları” başlıklı bu tezin Yüksek Lisans Tezi olarak uygun olduğunu onaylarım.

Prof. Dr. Fahrettin ATAR

.....

Tez Danışmanı, Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı

Bu çalışma, jürimiz tarafından Oy Birliği ile Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalında Yüksek Lisans tezi olarak kabul edilmiştir. 17/5/2021

Ünvanı, Adı SOYADI (Kurumu)

İmzası

Başkan : Prof. Dr. Fahrettin ATAR (KBÜ)

.....

Üye : Dr. Öğr. Üyesi Aaitmamat KARIEV (KBÜ)

.....

Üye : Dr. Öğr. Ü. Mustafa GENÇ (KSÜ)

.....

KBÜ Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Yönetim Kurulu, bu tez ile, Yüksek Lisans Tezi derecesini onamıştır.

Prof. Dr. Hasan SOLMAZ

.....

Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Müdürü

صفحة الحكم على الرسالة

اصادق على أن هذه الأطروحة التي أعدت من قبل الطالب رزگار أدريس عبدالله بعنوان "أحكام الذميين في الفقه الإسلامي" في برنامج العلوم الإسلامية الأساسية هي مناسبة كرسالة ماجستير.

Prof. Dr. Fahrettin ATAR

.....

مشرف الرسالة

قبول

تم الحكم على رسالة الماجستير هذه بالقبول من قبل لجنة المناقشة بالإجماع بالقبول

بتاريخ 2021 /5/17

أعضاء لجنة المناقشة

التوقيع

رئيس اللجنة Prof. Dr. Fahrettin ATAR (KBÜ).....

عضوا Dr. Öğr.Ü. Aitmammat KARİEV (KBÜ).....

عضوا Dr. Öğr.Ü. Mustafa GENÇ (KSÜ).....

تم منح الطالب بهذه الأطروحة درجة الماجستير في قسم العلوم الإسلامية من قبل
مجلس إدارة معهد الدراسات العليا في جامعة كاربوك.

Prof. Dr. Hasan SOLMAZ

.....

مدير معهد الدراسات العليا

DOĞRULUK BEYANI

Yüksek lisans tezi olarak sunduğum bu çalışmayı bilimsel ahlak ve geleneklere aykırı herhangi bir yola tevessül etmeden yazdığımı, araştırmamı yaparken hangi tür alıntıların intihal kusuru sayılacağını bildiğimi, intihal kusuru sayılabilecek herhangi bir bölüme araştırmamda yer vermediğimi, yararlandığım eserlerin kaynakçada gösterilenlerden oluştuğunu ve bu eserlere metin içerisinde uygun şekilde atıf yapıldığını beyan ederim.

Enstitü tarafından belli bir zamana bağlı olmaksızın, tezimle ilgili yaptığım bu beyana aykırı bir durumun saptanması durumunda, ortaya çıkacak ahlaki ve hukuki tüm sonuçlara katlanmayı kabul ederim.

Adı Soyadı: Rizgar Idrees Abdullah

İmza:

تعهد المصادقية

أقر بأنني التزمت بقوانين جامعة كارابوك، وأنظمتها، وتعليماتها، وقراراتها السارية المفعول

المتعلقة بإعداد أطروحات الماجستير والدكتورا عندما قمت شخصياً بإعداد أطروحتي بعنوان:

(أحكام الذميين في الفقه الإسلامي)

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الأطروحات العلمية، كما أنني أعلن

بأن أطروحتي هذه غير منقولة، أو مستلة من أطروحات أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية

تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد.

اسم الطالب: رزگار إدريس عبدالله

التوقيع:

الشكر والتقدير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه الأطهار ومن تبعهم
بإحسان إلى يوم الدين

شكرا لأمي التي لم ترى ثمرة جهدها..

و شكرا لأبي الغالي الذي وهبني القوة والأعزاز بالنفس..

و شكراً للعلماء الكبار الذين استفدت من علمهم، وخاصة أ. د. فخر الدين عطار.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين .

دون اي شك نعلم أن منذ العصور و المجتمع الإسلامي لم يجرّد من غير المسلمين فلا عجب من هذا الامر ، فإن دين الإسلام لا يجبر و لا يكره الناس ليصبحوا مسلمين ولا يمنع المسلمين من التخالط و العيش مع غير المسلمين ، لأن جميعا عباد الله ، وليس هناك التفريق في الإسلام بين الناس ، نظمت الشريعة الإسلامية علاقات غير المسلمين في دولة الإسلامية سواء كانت تلك العلاقات مع المسلمين أو بين بعضهم لذلك اردت ان اجعل موضوع رسالتي في " أحكام الذميين في الفقه الإسلامي " لأن هذا الموضوع يستحق بذل الجهد المستطاع للبحث عنه بشكل أوسع و اظهره للناس ، كما ان الشريعة الإسلامية للمسلمين قانونا و ديننا لذلك فهي لغير المسلمين ايضا قانون ما داموا يعيشون بين المسلمين و في ارض الاسلام .

يحتوي البحث على مقدمة وثلاثة فصول، وخاتمة :

في الفصل الأول تناولت المفاهيم والتعريفات منها دار الإسلام و دار الحرب، وغير المسلم وأقسامه اما الفصل الثاني خصصته للكلام عن حقوق وواجبات وبعض أحكام الذميين، وأما الفصل الثالث من الرسالة فعرضت فيه بعض الشبهات حول الذميين، والردود عليها منها دعوى انتشار الإسلام بالسيف، و دعوى وجود العنف والإرهاب في الإسلام، و مسألة كبت الحريات وهضم الحقوق في الإسلام.

أما الخاتمة ذكرت فيها بعض نقاط و نتائج توصلت اليها خلال البحث . و لا انسى فضل استاذي بروفييسور فخرالدين عطار الذي اشرف على رسالتي و كان لسيادته فضل كبير في اتمامها بما بذله من وقت في مراجعة فصولها ، فجزاه الله خيرا .

و في النهاية ارجوا ان اكون بهذه الرسالة بذلت كل جهدي في خدمة الشريعة الإسلامية و نشر مفاهيمها و احكامها فان وفقت فيها فهذا ما كنت أسعى اليه ، و ان اخطأت فمن نفسي المقصرة .

ÖZ

Zimmilerin hak ve sorumlulukları konusu fıkıh biginleri için büyük önem taşımaktadır. Bu tezin amacı zimmilere ait hükümleri İslamî kaynaklar çerçevesinde ve uygulamalar ışığında açıklamaktır.

İslam hükümlerinin uygulandığı yere dâru'l-İslâm/İslam ülkesi, İslam hükümlerinin uygulanmadığı yere ise dâru'l-harb/harb ülkesi denir. Gayri müslimler kendilerine uygulanacak hükümler itibariyle şöyle gruplandırılabilir: Muhârib, mus'tad'af, ehl-i zimme, müste'men, muâhid. İslam ülkesinde Müslümanlardan başka müste'men, muâhid ve zimmiler yaşamaktadır. İslam hükümlerinin uygulandığı İslam ülkesinde yaşayan gayri müslim kişilerin hak ve sorumlulukları vardır. Ehl-i zimme/zimmî denince İslâm ülkesine yerleşip orada yaşayan Hristiyan, Yahudi gibi ehl-i kitap sahipleri kastedilir. İslam ülkesinde bu kişilerin can, mal ve namus güvenliği sağlanmış ve bunlara ibadet ve inanç hürriyeti verilmiş, miras ve evlilik ile ilgili kanunlarını uygulama hakkı tanınmıştır. Mesela onların faizli muamele ve haram sayılan şeylerin ticaretini yapma hakları bulunmamaktadır. Yine ehl-i zimmeye kamu hizmetlerinden yararlanma, helal olan malların ticaretini yapma , haksızlığa uğradığında dava açma ve sosyal adalet çerçevesinde mali haklardan yararlanma gibi pek çok hak tanınmıştır. Zimmilere adaletle muamele edildiğine ve bu hakların tanındığına dair tarih tanıktır. Ehl-i zimmilere tanınan bu haklar karşılığında onlara bazı yükümlülükler de yüklenmiştir. Mesela esasları fıkıh kitaplarında belirlenmiş cizye vergisi, gümrük vergisi ve haraç vergisi gibi. Yine zimmiler İslam'ın kutsallarına saygı göstermek mecburiyetindedirler.

Müslümanlık kılıç gücüyle yayılmamıştır. İnsanlar baskı altında olmadan hür iradeleriyle islamiyeti kabul etmişlerdir.

Anahtar Kelimeler: Zimmi – İslam ülkesi – Harb ülkesi – Hürriyet – Cizye.

ملخص الرسالة

إن أحكام أهل الذمة ذات أهمية كبيرة لدى الفقهاء، فالذمي هو الشخص الذي عليه المسؤولية كاليهود والمسيحيون وغيرهم الذين استقروا في الأراضي الإسلامية وأطلق سراحهم بكفالة أو من جرى مجراهم كالمجوس في الدولة الإسلامية الذين يعطون عهدا لها يأمنون بها على مالهم وعرضهم ودينهم، والكافر الأصلي اما يكون محارب او مستضعف او معاهد او مستأمن او كافر غير معترض.

فلأهل الذمة حقوق و ضمانات، في دار الاسلام اي البلد الذي يجري فيه احكام المسلمين أما دار الحرب هو ما يجري فيه حكم غير الإسلام، فتلك الضمانات نوتقها بشهادة التاريخ والنصوص والفقهاء منها ضمان حرية المعتقد وحرية ممارسة العبادة و ضمان سلامة دورها وحسن العشرة والمعاملة الحسنة والعدل في معاملتهم ورفع الظلم عنهم والتكافل الاجتماعي.

على أهل الذمة واجبات يلتزمون بها أمام مجمع الفقه الإسلامي كالجزية المأخوذة من الذمي لأمنه واستقراره في بلاد المسلمين وكذلك الخراج اي الضريبة المالية على الاراضي الخراجية التي تركها المسلمون بيد اصحابها بعد فتحهم لبلادهم ودفع عشر ما يتاجرون به من بلد الى بلد آخر داخل مجمع الفقه الإسلامي ولا يكون التعشير إلا مرة في العام.

و لهم واجبات اخرى غير مالية منها منع الاستخفاف بالمسلمين مثل ذكر الله عزوجل أو كتابه أو رسوله أو دينه بسوء ، والامتناع عن اظهار بيع الخمر والخنازير بين المسلمين والمعاملات الربوية بين المسلمين.

ولأهل الذمة أحكام منها أحكام متعلقة بالمعاملات المالية، وما يحرم على المسلمين من دفعها، كعقد الربا، والأحكام التي تتعلق بعقوباتهم واحكام نكاحهم.

فمن الخطأ القول إن الإسلام انتشر بقوة السيف، فلو انتشر بالسيف لقبله عدد كبير من الناس في البداية خوفاً، لكننا نرى تحول إليه عدد قليل في البداية.

والسر في ذلك أن الضعفاء ولم يكتفوا بالابتعاد عن دينهم رغم الاضطهاد والضغط بل اعتنقوا الإسلام.

الكلمات المفتاحية: الذمي - دار الاسلام - دار الحرب .

Message Abstract

The provisions of the people of dhimmis have great importance to the jurists. The dhimmi is the person who bears the responsibility, such as the Jews, Christians, and others who settled in the Islamic lands and released them on bail, or those who were like the Magi in the Islamic state who give a covenant to the state, they will trust in it over their money, honor, and religion, and the original infidel is either a warrior, a weakling, a pledger, a trustee, or an infidel who does not object.

The people of dhimmis have rights and guarantees, in the home of Islam, and it means the country in which the provisions of the Muslims are enforced. As for the home of war, it is the ruling in which other than Islam is carried out. Those guarantees are documented by the testimony of history and the texts of the jurists, including the guarantee of freedom of belief and freedom to practice worship, ensuring the safety of its worshiping houses, good behavior, good treatment, justice in their treatment, removal of injustice from them and social solidarity.

The dhimmis have duties that they abide by before the home of Islam, such as the jizya taken from the dhimmi for his security and stability in the Muslim countries, as well as the Kharaj, which is a financial tax on foreign lands that the Muslims left in the hands of their owners after they conquered their country and the payment of a tenth of what they trade from one country to another within the home of Islam, and the payment of the tenth is only once a year.

They also have other non-financial duties, including the prohibition against belittling Muslims, such as remembrance of God Almighty, His Book, His Messenger, or religion in a bad way and refraining from showing the sale of alcohol and pigs among Muslims and usurious transactions between Muslims.

The dhimmis have provisions, including those related to financial transactions, and what Muslims are forbidden not to pay, such as the usury contract, and the provisions related to their penalties and the provisions of their marriage.

It is wrong to say that Islam was spread by the power of the sword. If the sword spreads it, a large number of people would accept it at first out of fear, but at first, we see a few converting to it.

The secret is that weak people converted to Islam and were not satisfied with turning away from their religion despite any persecution and pressure.

Keywords: - dhimmis - home of Islam - home of war - freedom - cizye

(ARŞİV KAYIT BİLGİLERİ)

Tezin Adı	İslam Hukukunda Zimmilerin Hak ve Sorumlulukları
Tezin Yazarı	Rizgar Idrees Abdullah
Tezin Danışmanı	Prof. Dr. Fahrettin ATAR
Tezin Derecesi	Yüksek Lisans
Tezin Tarihi	2021/5/17
Tezin Alanı	Temel İslam Bilimleri
Tezin Yeri	KBÜ/LEE
Tezin Sayfa Sayısı	91
Anahtar Kelimeler	Zimmiler – İslam ülkesi – Harb Ülkesi – Hürriyet-Cizye

بيانات الرسالة للأرشفة

عنوان الرسالة	أحكام الذميين في الفقه الإسلامي
اسم الباحث	رزگار ادريس عبد الله
اسم المشرف	أ.د: فخرالدين عطار
المرحلة الدراسية	ماجستير
تاريخ الرسالة	2021/5 /17
تخصص الرسالة	العلوم الأساسية الإسلامية
مكان الرسالة	جامعة كرابوك – معهد الدراسات العليا – كلية الإلهيات
عدد صفحات الرسالة	91
الكلمات المفتاحية	- الذمي (أهل الذمة)- دار الاسلام - دار الحرب – الجزية

(ARCHIVE RECORD INFORMATION)

Title of the Thesis	The Provisions of the Dhimmis in Islamic Jurisprudence
Author of the Thesis	Rizgar Idrees Abdullah
Advisor of the Thesis	Prof. Dr. Fahrettin ATAR
Status of the Thesis	Master Degree
Date of the Thesis	2021/5/17
Field of the Thesis	Islamic Basic Science
Place of the Thesis	KBU/LEE
Total Page Number	91
Keywords	dhimmis - home of Islam - home of war – freedom-cizye

الاختصارات

ت: توفي

ج: جزء

ص: صفحة

ط: طبعة

ن: الناشر

د.ن: دون ناشر

د.ت: دون تاريخ

د.ط: دون طبعة

هـ: هجري

سبب اختيار الموضوع

1. إن الذي دفعني إلى كتابة هذا الموضوع هو رغبتني في معرفة أكثر عن أهل الكتاب.
2. ومن أحد الأسباب المهمة كثير من المسلمين ومن غير المسلمين لا يعلمون الأحكام المتعلقة بالذميين.
3. أما المسلمين فلكيلا يخالفوا شرع الله سبحانه وتعالى في التعامل والتعايش مع غير المسلمين.

أهمية البحث

إن لهذا الموضوع أهمية كبيرة في وقتنا الحاضر، حيث أن كثيراً من المسلمين يجهلون الكثير من الأحكام الشرعية المتعلقة بفقه المعاملات والتعايش مع الغير، سواء من الناحية الدينية، أو من ناحية التعامل مع غير المسلمين، وغير ذلك من الأحكام. فكان لابد على طلاب العلم تنبيه المسلمين إلى هذه الأحكام.

منهج البحث

1. المنهج الاستقرائي: وذلك بأستقراء وجمع الكتب التي تتعلق بموضوع الذميين.
2. منهج التحليلي: وذلك ببيان وتحليل الأحكام الشرعية الخاصة بالذميين.

الدراسة السابقة

بحثت كثيراً عن العناوين التي ذات صلة بعنوان بحثي لكن ما وجدت عنواناً مطابقاً بعنواني إلا بعض الإخوان كتبوا عناويناً قريباً من عنوان بحثي مثلاً كتب أحد إخواني على أحكام الذمي ولكن بعنوان آخر الا وهو (استزار الذمي في الفقه الإسلامي)

خطة البحث

يحتوي البحث على مقدمة وثلاثة فصول، وخاتمة، على النحو الآتي:

في الفصل الأول عرض المفاهيم والتعريفات، وذلك من خلال المباحث الآتية: في المبحث الأول: مفهوم دار الإسلام ودار الحرب، وفي المبحث الثاني: غير المسلم وأقسامه.

وفي الفصل الثاني الكلام حول حقوق وواجبات وبعض أحكام الذميين، وذلك في أربعة مباحث: في المبحث الأول بيان مشروعية وحكمة عقد الذمة، وفي المبحث الثاني بيان حقوق الذميين، وفي المبحث الثالث عرض واجباتهم، وفي المبحث الرابع بيان بعض الأحكام المتعلقة بالذميين.

وأما الفصل الثالث فعرضت فيه بعض الشبهات حول الذميين، والردود عليها، وذلك في ثلاثة مباحث: في المبحث الأول دعوى انتشار الإسلام بالسيف، وفي المبحث الثاني دعوى وجود العنف والإرهاب في الإسلام، وفي المبحث الثالث مسألة كبت الحريات وهضم الحقوق في الإسلام.

وأخيراً الخاتمة، وفيها عرض خلاصة البحث، وأهم نتائجه، ثم فهرس المصادر والمراجع.

الفصل الأول: المفاهيم والتعريفات

المبحث الأول: مفهوم دار الإسلام ودار الحرب

أولاً: دار الإسلام

قال الفيروز آبادي: (الدار المحل يجمع البناء والعروة)¹، فالبناء الذي يبنى على الأرض لا يسمى داراً لوحده كما أن الأرض لا تسمى داراً، إنما تطلق الدار على الأرض والبناء جميعاً². وقال ابن منظور: والدار المحل يجمع البناء والعروة.. وفي حديث زيارة القبور سمي موضع القبور داراً تشبيهاً بدار الأحياء لاجتماع الموتى فيها³.

بعد معرفة دار الإسلام بالنظر لجزأيه كلا على حدة آن الأوان لمعرفته مركباً إضافياً يحمل معنى فقهيًا جديداً.

ذكر الفقهاء القدامى دار الإسلام في كتبهم وعبروا عنها بتعابير مختلفة وعرفوها بتعاريف

عدة منها:

أولاً : تعريف دار الإسلام هي الدار التي تظهر فيها أحكام الإسلام، وهذا التعريف جاء

عند

الكاساني . قال : لا بد أولاً من معرفة معنى الدارين دار الإسلام ودار الكفر

لتعرف الأحكام التي تختلف باختلافهما ومعرفة ذلك مبنية على معرفة ما به تصوير الدار دار إسلام أو دار كفر فنقول لا خلاف بين أصحابنا في أن دار الكفر تصوير دار إسلام بظهور أحكام الإسلام فيها⁴، وبين الكاساني سبب التسمية حيث قال: المقصود من إضافة الدار إلى الإسلام والكفر ليس هو عين الإسلام والكفر وإنما المقصود هو الأمن والخوف ومعناه أن الأمان إن كان للمسلمين فيها على الإطلاق والخوف للكفرة على الإطلاق فهي دار الإسلام وإن كان الأمان فيها للكفرة على الإطلاق والخوف للمسلمين على الإطلاق فهي دار الكفر والأحكام مبنية على الأمان والخوف لا على الإسلام والكفر⁵.

¹ . القاموس المحيط، ج 1/ص 503.

² . المصدر السابق/ج 1/ص 503.

³ . لسان العرب /ج 4/ص 298.

⁴ . بدائع الصنائع ج 7/ص 130.

⁵ . المصدر السابق/ج 7/ص 131.

ثانيا: قال السرخسي: دار الإسلام اسم للموضع الذي يكون تحت يد المسلمين وعلامة ذلك أن يأمن فيه المسلمون⁶.

ثالثا: قال البجيرمي من الشافعية: والمراد ببلاد الإسلام كل بلد بناها المسلمون كبغداد والبصرة أو أسلم أهلها عليها كالمدينة واليمن أو فتحت عنوة كخيبر ومصر وسواد العراق أو صلحا والأرض لنا والكفار ساكنون فيها ويدفعون الجزية⁷.

رابعا: قال ابن مفلح المقدسي: كل دار غلب عليها أحكام المسلمين فدار الإسلام⁸. أما العلماء المعاصرون فكانت لهم تعاريف تجمع ما تفرق في كتب الفقه غالبا وهذه أهم التعاريف المعاصرة:

أولا: عرفها عبد الوهاب خلاف حيث قال: الدار التي تجري عليها أحكام الإسلام ويأمن من فيها بأمان المسلمين سواء أكانوا مسلمين أو ذميين⁹.

ثانيا: عرفها عبد الكريم زيدان: "الشرط الأساس لاعتبار الدار دار إسلام هو كونها محكومة من قبل المسلمين وتحت سيادتهم وسلطانهم فتظهر عند ذاك أحكام الإسلام"¹⁰.

ثالثا: عرفها محمد سعيد رمضان البوطي: هي البلدة أو الأرض التي دخلت في منعة المسلمين وسيادتهم بحيث يقدرّون على إظهار إسلامهم والامتناع من أعدائهم سواء تم ذلك بفتح وقتال أو بسلم ومصالحة أو نحو ذلك¹¹،

ويمكن أن يستخلص من التعاريف السابقة أن دار الإسلام هي الدار التي تتوفر فيها الشروط الآتية:

أولا: وجود حكومة تكون السيادة فيها للمسلمين دون غيرهم فالدولة لا تكون إسلامية ما لم تكن الحكومة مسلمة ولا يشترط فيها أن تكون راشدة على مقدار من العدل كالحكومة التي كانت في زمن الخلفاء الراشدين، بل نجد الخلافة بعد العهد الراشدي انتكست وتولاه الكثير ممن سفك الدماء واستباح المحرمات لكن بقيت الطاعة واجبة لهم ما لم يظهر وكفرا بواحا، علما أن الحكومة الإسلامية المثالية لا بد لها أن تتصف بالصفات الآتية:

⁶ المبسوط / للإمام شمس الدين بن أحمد السرخسي، ج10/ص62.

⁷ حاشية البجيرمي، ج3/ص189.

⁸ الآداب الشرعية والمنح المرعية، ج 1/ص 211، ابن مفلح المقدسي، مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

⁹ السياسة الشرعية / عبد الوهاب خلاف / ص 69.

¹⁰ أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، د. عبد الكريم زيدان، ص18.

¹¹ الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه، ص80، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق.

1- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :وهو واجب على كل مسلم فضلا عن الدولة الإسلامية التي يجب عليها أن تقوم بمراقبة سياسة الحكومة ونظمها التي تحكم بها فقد قال تعالى: وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ. وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ¹².

2- العدل: وهو مبدأ أساسي قام عليه نظام الحكم الإسلامي الذي اعتمد قيام هذه العدالة بين كل الناس، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا¹³. إن الله تعالى أمر عامة المؤمنين أن يتصفوا بالعدل فحكمهم أولى.

3- المساواة: حرص الإسلام وأكد على إقامة المساواة بين المسلمين وانهم متساوون أمام القانون وفي الحقوق والواجبات فلا فرق بين غني وفقير وسيد ومولى وأبيض وأسود لا يفرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى، قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ¹⁴.

4- الحفاظ على وحدة الأمة الإسلامية :من المهام الأساسية الملقاة على عاتق الحكومة الإسلامية هو الحفاظ على الأمة من التفرقة وتحقيق وحدتها، قال تعالى: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ¹⁵.

5- الشورى: هي من جملة ما شرعه الإسلام كأصل ثابت ومبدأ أساس في نظام الحكم يفاد منها استخراج آراء أصحاب الفكر والبصيرة في شؤون الحكومة ولم يحدد الإسلام شكل الشورى وإنما تركت تفاصيلها على وفق مقتضيات العصر والمجتمع، قال تعالى : وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ¹⁶.

ثانيا :وجود حاكم شرعي لهذه الدولة وهناك مميزات لا بد من توفرها للحاكم وأهمها:

¹² .سورة آل عمران :10.

¹³ .سورة النساء :135.

¹⁴ .سورة الحجرات:13.

¹⁵ .سورة آل عمران :103.

¹⁶ .سورة الشورى: 38.

1- الإسلام: وذلك لقوله تعالى: الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا¹⁷.

2- العدالة: يجب على الحاكم العدل بين الناس وإعطاء كل ذي حق حقه بالقسط، لقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ أَلْ نَاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا¹⁸.

3- الشورى: وهي أمر واجب على الحاكم فلا يحق له الاستبداد بآ ريه والانف ا رد بالتصرف في أمور الأمة، بل يجب عليه الرجوع إلى أهل الشورى من أصحاب الحل والعقد فيما لم يرد فيه نص قطعي أو حديث نبوي، قال تعالى: وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ¹⁹.

4- ان يكون عارفا بالقوانين ملما بنصوص الكتاب والسنة النبوية ومطلعا على ثقافة عصره ومدركا لمصالح الشعب وأمور الأمة، قال تعالى: وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ²⁰.

ثالثا: أن تظهر شعائر الإسلام في هذه الدولة كالجماعة في المساجد والأذان والحجاب الشرعي للمرأة كل ذلك من غير مضايقة من السلطة بل تكون هي راعية لذلك.

ثانياً: دار الحرب

أما تعريف الدار لغة فمر في المطلب الأول ولذلك سأكتفي بتعريف الحرب لغة والمركب الإضافي (دار الحرب) شرعا وقانونا.

الحرب لغة: قال الفيروز آبادي: الحرب م وقد تذكر ج حروب ودار الحرب بلاد

¹⁷. سورة النساء: 141.

¹⁸. سورة النساء: 58.

¹⁹. سورة الشورى: 38.

²⁰. سورة البقرة: 247.

المشركين الذين لا صلح بيننا وبينهم ورجل حرب ومحرب ومحا رب شديد الحرب شجاع ورجل حرب عدو محارب وإن لم يكن محارباً للذكر والأنثى والجمع والواحد وقوم محاربة وحاربه محاربة وحارباً وتحاربوا²¹.

دار الحرب شرعاً: اختلفت عبارات الفقهاء في تعريف دار الحرب وبيان أبعاده تبعاً لاختلافهم في تعريف دار الإسلام وهذه جملة لتعاريف الفقهاء لدار الحرب اصطلاحاً: قال السرخسي: ودار الحرب ليست بدار أحكام ولكن دار قهر فباختلاف المنعة والملك تختلف الدار فيما بينهم وبتباين الدار ينقطع التوارث بينهم²².

قال ابن مفلح الحنبلي: وتجب الهجرة على من يعجز عن إظهار دينه في دار الحرب وهي ما يغلب فيها حكم الكفر²³، وورد هذا النص عند البهوتي أيضاً²⁴.

قال عبد الوهاب خلاف: الدار التي لا سلطان للإسلام عليها ولا نفوذ لأحكامه فيها بقوة الإسلام ومنعته²⁵.

اختلف الفقهاء في انقلاب دار الإسلام إلى دار حرب، وذهبوا إلى عدة أقول: القول الأول: ذهب الإمام أبو حنيفة²⁶، إلى أن دار الإسلام تنقلب دار حرب بثلاثة شروط:

الشرط الأول: ظهور أحكام أهل الكفر فيها بحيث يكون نظام الحكم النافذ فيها لأهل الكفر ولا يحكم فيها بحكم المسلمين.

الشرط الثاني: أن تكون الأرض متصلة بدار الحرب بشكل مباشر بحيث لا يفصل بينها وبين دار الحرب بلد إسلامي.

الشرط الثالث: أن يزول الأمان عن المسلمين بحيث لا يبقى مسلم فيها أو ذمي آمنين بالأمان الأول الذي كان قبل زوال سلطة المسلمين.

²¹ . القاموس المحيط، ج 1/ص 93.

²² . المبسوط/ للسرخسي، ص 35/30.

²³ . المبدع، ج 3/ص 313.

²⁴ . كشاف القناع، كشاف القناع عن متن الإقناع: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، ج 3/ص 43.

²⁵ . السياسة الشرعية/ لعبد الوهاب خلاف/ ص 69.

²⁶ . بدائع الصنائع، ج 6، ص 116، الكاساني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الفتاوى الهندية ج 2، ص 232، جماعة من علمائ الهند، إحياء التراث العربي، بيروت المسوط، ج 10، ص 114، السرخسي، دار المعرفة بيروت، رد المحتار على الدر المختار، ج 4، ص 175، ابن عابدين، دار الفكر، بيروت.

واستدل على ذلك بجملة أدلة منها:

الدليل الأول: الإضافة بين المضاف والمضاف إليه (دار الإسلام) (أو دار الحرب) لا تعني أن تكون الدار ملكا للمسلمين أو ملكا للحريين وإنما يقصد منها ثبوت الأمان والخوف لكل من الفريقين في حرية ممارسة الشعائر الدينية، فالدول التي كان الإسلام يسودها يوما ما ومنع أهلها من إظهار فرض الله تعالى وشعيرة الإسلام وأعني بذلك حجاب المرأة المسلمة ينطبق عليها هذا الكلام.

الدليل الثاني: من القواعد الفقهية المقررة أن اليقين لا يزول بالشك ولذلك فكون الدار دار إسلام أمر متيقن منه فلا تصبح دار حرب إلا باليقين واليقين إنما يتحقق بالشروط الثلاث المارة.

الدليل الثالث: دار الإسلام هي الدار التي تكون حرارا للمسلمين وملاذا لهم وهذا لا يتحقق إلا بتوفر ما مر من الفقرات الثلاث.

القول الثاني: ذهب المالكية وبعض الشافعية²⁷، إلى أن دار الإسلام لا تتحول إلى دار حرب بمجرد ظهور شعائر الكفر والحرية في ممارسة الطقوس الدينية لغير المسلمين ولا حتى منع المسلمين من ممارسة بعض الشعائر الدينية (كالحجاب مثلا) بل العبرة بممارسة المسلمين لغالب شعائر دينهم فمتى تمتع المسلمون بممارسة غالب شعائر دينهم في بلد تغلب عليه أهل الكفر فلا تعتبر البلدة دار حرب، وفي ذلك يقول ابن عرفة: ولأن بلاد الإسلام لا تصير دار حرب بمجرد استيلائهم عليها بل حتى تنقطع إقامة شعائر الإسلام عنها وأما ما دامت شعائر الإسلام أو غالبها قائمة فيها فلا تصير دار حرب²⁸.

القول الثالث: ذهب جمهور الشافعية²⁹، إلى أن كل دار كانت يوما دارا للمسلمين لا تتحول بأي حال من الأحوال إلى دار حرب، وفي ذلك يقول الهيثمي: ما حكم بأنه دار إسلام لا يصير بعد ذلك دار كفر مطلقا³⁰، ويقول الطوسي من الشيعة الإمامية: فدار الإسلام على ثلاثة أضرب الثالث: دار كانت للمسلمين وتغلب عليها المشركون³¹، وإلى عدم جواز تحول دار الإسلام إلى دار كفر ذهب من المعاصرين الأستاذ محمد سعيد رمضان البوطي حيث قال: ومن أحكامها أنها

²⁷ حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج2/ص297، ابن عرفة، دار الفكر، بيروت، فتاوى الرملي بهامش الفتاوى الكبرى لابن حجر، ج4، ص53.

²⁸ حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج2، ص297، ابن عرفة، الفكر، بيروت.

²⁹ حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج2، ص297، ابن عرفة، الفكر، بيروت.

³⁰ تحفة المحتاج بشرح المنهاج، ج12، 108، نيهية المحتاج بشرح المنهاج، ج8، ص78، الرملي، المكتبة الإسلامية،

ديار بكر، تركيا، الميسوط، ج3، ص343، أبو جعفر الطوسي، المكتبة المرتجوية، إيران.

³¹ الميسوط، ج3، ص343، أبو جعفر الطوسي، المكتبة المرتجوية، إيران.

لا تتحول بعد ذلك إلى دار كفر أو حرب مهما تعرضت البلدة الإسلامية من ضعف أو عدوان أو تسلط واستعمار.

المبحث الثاني: غير المسلم وأقسامه

هناك نوعان من الكفار: الكافر الأصلي والكافر الطارئ. الكافر الأصلي هو كل من لا يتبع النبي محمد ولا يشهد. لذا فإن أي يهودي أو مسيحي أو أي شخص ليس له دين أو دين آخر غير الإسلام هو كافر في الأصل. لكن الكافر الطارئ هو من اعتنق الإسلام ثم ترك دين الإسلام الذي يسمى الردة، مثل سلمان رشدي صاحب كتاب آيات شيطانية.

وحكم الكافر المرتد صريح وواحد، وهو سفك دمه. طبعاً قبل قتله يجب أن يطلب منه أن يتوب ويثبت أنه مرتد. لولي المسلم وحده أن يحكم بأن يصبح المرتد مهزور الدم، وإذا لم يكن هناك ولي للمسلمين، فلعلماء المسلمين والقيادات السياسية والعسكرية الحق في ذلك.

المطلب الأول: تعريف الذمي

الذمة تعني لغوياً إما العهد لأن من يخالفه يجب أن يدفع الذمة، أو قال البعض أن الذمة هي صفة لشخص مؤهل لشيء في صالحه أو على حسابه. ووفقاً للفقهاء، على عكس الحيوانات، يتحمل الإنسان مسؤولية عند ولادته، إما لصالحه أو ضده³².

وفي الشرع: نفس ورقة لها ذمة وعهد، أو هي صفة يصير الشخص بها أهلاً للإيجاب له وعليه³³.

والذمي: هو المعاهد الذي أعطي عهداً يأمن به على ماله، وعرضه، ودينه³⁴.

وأهل الذمة: اليهود والمسيحيون وغيرهم الذين استقروا في الأراضي الإسلامية وأطلقوا سراحهم بكفالة³⁵.

32- كتاب التعريفات: لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الأولى 1403هـ - 1983م/107.

33- التعريفات الفقهية: لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان 1407هـ - 1986م)، الأولى، 1424هـ - 2003م/100.

34- القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً: الدكتور سعدي أبو حبيب، دار الفكر - دمشق - سورية، الثانية 1408هـ = 1988م. / 138.

35- التعريفات الفقهية: ص 39.

أهل الذمة. وقد سمي اليهود والمسيحيون الذين استقروا في الأراضي الإسلامية بذلك لأنهم دخلوا في عهد المسلمين³⁶: الذمة محجوزة لأهل الكتاب ومن تعاقبوا معهم أو من أتباعهم أو مثلهم، وهم في الحقيقة يعترفون بدينهم ويلزمون بدفع الجزية. لا يرتبط أهل الذمة وأهل الكتاب دائماً لأن الشخص قد يكون ذمياً ولكن ليس شخصاً من الكتاب، وقد يكون شخصاً من كتاب الذمة وليس الذمي، مثل اليهود والنصارى الذين يعيشون خارج أرض الإسلام³⁷.

المطلب الثاني: أقسام غير المسلم الأخرى

أولاً: المعاهد

لغة: المعاهد نسبة إلى العهد، ومن معانيه في اللغة: الأمان، واليمين، والموثق، والذمة، والحفاظ، والوصية، ورعاية الحرمة³⁸.

أما في الاصطلاح، فالعهد عند الأحناف: الصلح على ترك القتال مؤقتاً³⁹.

وعند المالكية: هو صلح الحربي في المدة ليس هو فيها تحت حكم الإسلام⁴⁰.

وعند الشافعية: مصالحة أهل الحرب على ترك القتال مدة معينة بعوض أو غيره، سواء فيهم من يُقرّ على دينه ومن لم يقر⁴¹.

وعند الحنابلة: "أن ذلك يعني أنه يجب على المحاربين إنهاء الحرب من خلال التفكير في بديل أو عدم التفكير في الأنف لفترة زمنية معينة⁴²".

ومن الملاحظ أن عبارات الفقهاء في تعريف العهد متقاربة، وعلى هذا فيمكن تعريف المعاهد بأنه: (كل حربي يكون بين بلاده وبلاد الإسلام صلح مؤقت على ترك القتال).

36. معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الأولى، 1429 هـ - 2008 م، عدد الأجزاء: 4.
37. معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: د محمود عبد الرحمن عبد المنعم، مدرس أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون - جامعة الأزهر، دار الفضيلة: 330.
38. ينظر مادة (عهد) في: لسان العرب ج3/ص312، القاموس المحيط، ج1/ص387، مختار الصحاح، ج1/ص192.
39. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين الكاساني، سنة الولادة / سنة الوفاة 587، الناشر دار الكتاب العربي، سنة النشر 1982، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء، ص7/ص108.
40. الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي ج2/ص206.
41. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: محمد الخطيب الشربيني، سنة الولادة / سنة الوفاة، الناشر دار الفكر، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 4، ج: 6، ص86.
42. ينظر مادة (عهد) في: لسان العرب ج3/ص312، القاموس المحيط ج1/ص387، مختار الصحاح ج1/ص192. و الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي ج2/ص206.

والفرق بين الذمي، والمعاهد: أن الذمي استقر في أرض الإسلام وهو آمن، ويدفع الجزية مقابل سلامته.

وأما معاهد هو الذي يعيش في أرضه ويعاهدنا نحن المسلمين ألا يقاتلوا معنا، ونحن أيضاً نتعاقد معه على عدم القتال معه⁴³.

وهناك فرق آخر، وهو أن العهد يجوز من جميع الكفار، والذمة لا تجوز إلا من اليهود والنصارى والمجوس دون بقية الكفار، وهذا هو المشهور من المذهب، والصحيح: أنها تجوز من جميع الكفار⁴⁴.

ثانياً: محارب

هو كافر من أي دولة أو أرض تخوض حرباً مع دولة إسلامية أو جماعة مسلمة وليس لها عهد أو صداقة مع المسلمين. إنه شاب لا يهتم إذا كان جندياً أم لا، لكنه أحرق ويستخدم عند الضرورة. يجب قتل هذا الكافر والاستيلاء على ممتلكاته وتشويه سمعته، يمكن لأي مسلم في أي مكان وفي أي وقت أن يقتله، وكذلك في البلاد غير المسلمة كبلادهم الأصلية، ويدخل معهم المدنيون من الرجال القادرين على القتال.

ثالثاً: المستضعف

أحياناً يكون الكافر من الناس الذين حرم الإسلام قتالهم، مثل شيخ عجوز، أو قس أو راهب مقطوع للعبادة التي لا تستفز المسلمين، والأطفال غير الناضجين، والنساء غير المقاتلات، والمعاق روحياً أو جسدياً، وهذا الشخص موجود في أرض أو دولة قاتلت فيها. تلك الأرض أو الدولة هي دولة أو مجموعة من المسلمين، لكن هؤلاء الناس ليسوا قادرين على الحرب. إما أنه مسلم كافر مضطهد أو شخص يعارض قتال المسلمين على الأرض أو حكومة تقاتل المسلمين. مثل هذا الكافر لن يقتل، وإذا وقع في الحرب يعتقل أو يطلق سراحه بأمر من قائد الحرب، وإذا لم يكن في الحرب، فإن استهداف هؤلاء الناس ليس من أولوياته. ولكن إن كان الضرب في بلدان الكفار في موضع مختلط وهناك حربي، فإن دمه مهدور⁴⁵.

43. القول المفيد على كتاب التوحيد: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الثانية، محرم 1424هـ، عدد الأجزاء: 2، ج1/ص499.

44. القول المفيد على كتاب التوحيد: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الثانية، محرم 1424هـ، عدد الأجزاء: 2. 499/1.

45. المصدر السابق.

رابعاً: المستأمن

هو شخص آمن من الدولة الإسلامية بأي شكل من الأشكال، على سبيل المثال، شخص دخل الأرض الإسلامية بتأشيرة وقد يكون عاملاً أو سائحاً أو دبلوماسياً أو رجل أعمال أو صحفياً وهكذا. أو قد يكون من أسلم ولجأ إلى أرض إسلامية لكن أمنه كفله. مثل ابن هاني الذي أسلم وقبله النبي. إن دماء هذا الشخص وممتلكاته وسمعته في أمان، وطالما هو في الأرض الإسلامية، فلا حق في الاعتداء على حياته وممتلكاته ولو يرى بعض المسلمين أن حكومتهم لا تكون مسلمة إذ لا تعمل بما في الشرع، أو الآراء الأخرى، ولكن إذا لا يعلم الكافر ذلك ودخل في أرض مسلمة بالفيزا الرسمية ويفكر أنه بأمان به من المسلمين، ففي هذه الحالة التعدي به ليس جائز أبداً.

يذكر ابن تيمية: "وحتى إذا ظن الكافر خطأ من قول أحد المسلمين أنه يكون بأمان، التعدي به ليس جائزاً⁴⁶."

خامساً: الكافر غير المعترض

هذا النوع من الكافرين يشمل الأشخاص الذين ينتمون إلى حكومة ليس لديها أي مشاكل أو حروب مع الدولة الإسلامية، وهذه الحكومة لم تنتهك حكومة الإسلام، والحكومة الإسلامية ليس لديها طاولة للاعتداء على تلك الحكومة. فقتل هؤلاء لا يكون إلا لسبب شرعي، وإلا فلا يجوز قتلهم. مثل البرازيليين والفنزويليين في أمريكا الجنوبية.

وهذه هي أصناف الكفار الأصلية التي ذكرناها، ومن بينها قتل كافر حربى فقط، والاستيلاء على ممتلكاته، ولا يجوز الاعتداء على أرواح وممتلكات غيره من الكفار، ولكن أحياناً يخطئ المسلمون عن جهل ويظنون أن قتل جميع الكفار جائز⁴⁷.

⁴⁶ شرح السير الكبير إملء محمد بن أحمد السرخسي: لمحمد بن الحسن الشيباني، شهرته: محمد بن الحسن، تحقيق: محمد حسن محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية، البلد: بيروت، الطبعة: الأولى، سنة النشر: 1417هـ، 1997م، ج40/2.

⁴⁷ المصدر السابق.

الفصل الثاني: حقوق وواجبات وبعض أحكام الذميين

المبحث الأول: مشروعية وحكمة عقد الذمة

الأصل في مشروعية عقد الذمة والعهد قوله تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} ⁴⁸.

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث بريدة:...كما رواه بريدة: وبعد ذلك قم بدعوتهم إلى الإسلام، فإذا قبلوا ذلك فاقبل منهم، ودعهم، ثم قم اطلب منهم للنقل من منازلهم إلى منازل المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن قاموا بذلك، فلهم كل ما لدي المهاجرين، وعليهم كل ما علي المهاجرين، وإن رفضوا أن ينقلوا من منازلهم، فأخبرهم أنهم كانوا كالمسلمين ويسري حكم الله عليهم كما يسري على غيرهم من المؤمنين، وإذا جاهدوا مع المسلمين الأخرى فلهم نصيب من الغنيمة والفىء وإلا ليس لهم شيء منهما، وإن أبوا فسلهم الجزية ⁴⁹.

إن سبب قبول الذمة في الإسلام ليس اكتساب الثروة، بل احتمال اعتناق الذمي الإسلام بالاختلاط بالمسلمين والاطلاع على الإسلام وقوانينه ⁵⁰.

قالوا: فرق بين أهل الكتاب أو عبادة الأصنام. ورغم أنهم ليسوا مسلمين، فإنهم يقبلون مبدأ النبوة والتوحيد والآخرة والجنة والنار. موعود في كتبهم بقدم نبي الإسلام ووحيه، وتذكر في كتبهم صفات النبي وخصائصه وبيان دعوته. لكن المشركين ينفون النبوة والقيامة والتوحيد. لذلك فإن الحكمة التي تكمن في الفريضة، أي إمكانية الإسلام، ممكنة لأهل الكتاب. قال الله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ⁵¹، ثم قال: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. يعني: سلوا أهل الكتاب هل أرسلنا قبل محمد رجالا يوحى إليهم أم كان محمد بدعا من الرسل لم يتقدمه رسول حتى يكون إرساله أمرا منكرا لم يطرق العالم رسول قبله؟.

يقول ابن الأنباري: أي أسأل الأنبياء قبلك وعموماً فإن هذه الآية تعترف لمشركي قريش وغيرهم ممن أنكروا النبوة والتوحيد. وللتأكيد على أنه قبل نبي الإسلام أرسل الله أنبياء مع الكتب السماوية ونهى عن عبادة الأصنام.

⁴⁸. سورة التوبة: ٢٩.

⁴⁹. مسلم، ج 3/ص 1357 - 1358 رقم الحديث 1731.

⁵⁰. شرح السير الكبير: ج 254/3. وأحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام: تأليف عبدالكريم زيدان، مكتبة القدس

ومؤسسة الرسالة. ص 23.

⁵¹. سورة النحل: 43.

فشهادة أهل الكتاب بهذا حجة عليهم وهي من أعلام صحة رسالته، إذ كان قد جاء على ما جاء به إخوانه الذين تقدموه من رسل الله سبحانه، ولم يكن بدعا من الرسل ولا جاء بضد ما جاءوا به، بل أخبر بمثل ما أخبروا به من غير شاهد ولا اقتران في الزمان وهذه من أعظم آيات صدقه.

شبهة وجوابها

وجاء في شرح سعيد أن قتادة أيضا يقول: رسول الله: ليس شك عندي ولم أسأل. وينقل ابن جريج في حديث لابن عباس قوله: إذا كانت عندك شك فاسألها لأنها مكتوبة. قال ابن جريج: قال الله لرسوله: إن شككت في أننا نزلنا عليك فاعلم أن بني إسرائيل لا يختلفون في نبوتك ويعرفونك وصفاتك، وفي كتابهم وصفت بعد الناس⁵². احرص على أن تسأل عنه مثل عبد الله بن سلام ومثله.

وقال ابن زيد: كان عبد الله بن سلام أهل كتاب وآمن برسول الله⁵³.

قال الزحاج: إسأل أهل الكتاب المتقين والمؤمنين، أي الذين يفهمون نبي الله⁵⁴.

بالرغم من كل هذه التفسيرات، يجب القول أن هذه الآية ليس لها مثل هذا الغرض. أين هو وقت نزول هذه الآية وأين عبد الله بن سلام؟ هذه سورة مكي⁵⁵، وفي وقت نزولها كان ابن سلام من قومه وأتباع دينه، وكيف أمر النبي بإخبار منكري نبوته أن يسأل أتباع ابن سلام؟ يعتقد كثير من المفسرين⁵⁶، أن هذا موجه للنبي، ولكنه يقصد أتباع النبي، مثل الآية: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ⁵⁷.

يقول ابن إسحاق أن العنوان في هذه الآية هو للنبي، لكنها تشمل جميع الناس، وسبب ذلك الآية في آخر السورة التي قال الله تعالى: قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ

⁵² . تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م، عدد الأجزاء: 26 مجلد 24 مجلد ومجلدان فهارس، (11/ 168).

⁵³ . أخرجه الطبري في تفسيره: ج 12/ ص 286.

⁵⁴ . المصدر سابق نفسه ج 12/ ص 287.

⁵⁵ . قال الإمام القرطبي في تفسيره: ج 9/ ص 304، وقال ابن عباس: مكية إلا أربع آيات من قوله: "قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى" إلى آخر الأربع آيات فإنها نزلت بالمدينة. وقال مقاتل: فيها مدني قوله "ذلك الذي يبشر الله عباده" إلى "الصدور"، انظر: الدر المنثور: ج 7 / ص 335.

⁵⁶ . تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م، عدد الأجزاء: 26 مجلد 24 مجلد ومجلدان فهارس، ج 11/ ص 168.

⁵⁷ . سورة الأحزاب: 1.

تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ⁵⁸، يقول ابن قتيبة أن أهل زمن الرسول انقسموا إلى ثلاث فئات: جماعة كفره فُرضت عليه، وأخرى اعترفت به وآمنت به، ومجموعة أخرى شككت في أنه على صواب أم لا. لقد خاطب الله المجموعة الثالثة وقال لهم أن يسألوا ما إذا كانوا يشكون في الهداية التي أرسلتها إلى النبي محمد. في الواقع، خاطب الله واحدًا ولكنه أراد الجمع، مثل {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} ⁵⁹، و: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ} ⁶⁰، و: {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ} ⁶¹.

وذلك يرفض في نمط الكلام، لذا انظر إليه وانظر هذه الآية: "يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ" ⁶²، والآية: {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ} ⁶³، وأيضا "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ" ⁶⁴، وذلك كله كلام ويتصل معا.

فالمخاطبة في هذه الآية هي للنبي، لكنها تعني جماعة من المتشككين. وسبب قول هذا التخلص من الوهم الذي لم يفترض. أي أن الآية تقول: إذا كان هناك شك فاسأل، ولا تدل على وجود الشك. وإن قيل أنه مع عدم وجود شك حقيقي فما معنى هذا العنوان؟ والجواب على هذا السؤال أن هذه الآية في الواقع حجة لمن ينكر النبوة والتوحيد. بالتأكيد، هذا العنوان لا يهدف إلى عار الله، لأنه بالتأكيد ليس لديه شك ولن يطرح أسئلة أبداً. في هذه الآية غرض آخر خفي وهو التأكيد على حكمة الجزية وقد حفظت الكتاب بها في بلاد الإسلام. فقتالهم واجب حتى تكون الأديان كلها لله.

المبحث الثاني: حقوق الذميين

لغير المسلمين الذين يعيشون في بلاد الإسلام الحقوق والضمانات التي يمنحها لهم دين الإسلام من قبل المجتمع الإسلامي. فيما يلي أهم الضمانات في التاريخ والنصوص الفقهية

أولاً: ضمان حرية المعتقد

يعتقد المسلمون أن الإسلام حقيقة واضحة وأن الأديان الأخرى غير الإسلام قد تم تحريفها وأن هناك نقاط غامضة ومربكة تجعل أتباعهم غير مدركين لحقيقة الدين. لقد حاول

⁵⁸ .سورة يونس: 104.

⁵⁹ .سورة الانفطار: 6.

⁶⁰ .سورة الانشقاق: 6.

⁶¹ .سورة الزمر: 8.

⁶² .سورة يونس: 94.

⁶³ .سورة يونس: 96.

⁶⁴ .سورة يونس: 99.

المسلمون دائماً استرضاء أتباع الديانات الأخرى والأشخاص الذين اندمجوا مع الأمة الإسلامية، بطريقة ودية وسلمية، وفقاً لمبادئ الإسلام، وبطريقة ودية وسلمية، وليس عن طريق الضغط والإكراه وهذا لا يشكل ضغطاً للأسباب التالية:

أ. حتمية الخلاف وطبيعته:

تقوم طبيعة الكون كله على التنوع والتعددية، لذلك من الطبيعي أن يكون للكائنات، بما في ذلك البشر، التنوع والتعدد. إذن البشر أجناس وطبائع مختلفة. إن تجاهل مبدأ التعددية والتنوع من قبل أي شخص في هذا العالم هو انتهاك ملموس للطبيعة والإنكار. يستند الاختلاف في الأديان على هذا السنة الإلهي، كما نرى في الآية: لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا⁶⁵،

ذكر ابن كثير: إن البلاد المتعددة ذات الديانات المختلفة تؤمن جميعاً أن الله قد أرسل أنبياء مختلفين لديهم ديانات مختلفة، لكن أحكامهم كلها متشابهة في موضوع التوحيد الرئيسي. وجاء في الكتاب: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ⁶⁶.

يذكر ابن حزم أن الله نفسه غير راضٍ عن هذه الاختلافات، لكنه أراد أن يكون الكون كذلك كالكفر والخطايا الموجودة في الكون ولكن الله لا يرضى عنها⁶⁷.

يقول ابن كثير: أنه لطالما كان هناك اختلاف بين الناس في الدين والآراء ونحو ذلك. يقول حسن البصري: "الناس مختلفون في الدين ولكن رحمة الله فيهم واحدة". إنه تعدد آيات الله واختلافها ولا يمكن القضاء عليها وإتلافها ودائماً كانت موجودة وستوجد⁶⁸.

ب. وظيفة المسلمين هي الدعوة إلى الله لا إلزام الناس بالإسلام:

يعلم جميع المسلمين أنه من المستحيل إرشاد كل البشر وكل المؤمنين، لكن واجبهم دعوة الناس إلى الإسلام وإرشادهم. لذلك فإن واجب المسلم الأساسي في هذا المجال هو الإبلاغ، وسيهتم الله بمن يعارضه. يقول الله لنبي الإسلام: يَقُولُ اللَّهُ لِنَبِيِّ الْإِسْلَامِ: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ⁶⁹.

⁶⁵ سورة المائدة: 48.

⁶⁶ سورة هود: 118-119.

⁶⁷ الإحكام في أصول الأحكام، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى:

456هـ)، الناشر: دار الأفاق الجديدة، بيروت، عدد الأجزاء: 8، ج 2/ص 64.

⁶⁸ تفسير القرآن العظيم، لمنسوب للإمام الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، ج 2/ص 466.

وقال تعالى: فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ⁷⁰.

يقول القرطبي: معناه أن واجبك أن تبلغ وتهدي الناس إلى الله، حتى لو لم يسمعوا ولم يلتفتوا وابتعدوا⁷¹.

وذكر الشوكاني في بيانه للآية: فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ⁷² تعني: يجب أن تقوم بواجبك، وهو الدعوة والنشر، وليس عليك الحصول على نتائج. عندما يقول الله تعالى (علينا الحساب) فمعنى ذلك أن نتيجة هذه الدعاية، إذا كانت تقبلهم وتعارضهم، فإننا نعاقبهم وهذه النتيجة لا علاقة لها بكم. جاء في كلام الله: فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ⁷³ لذلك لا يحتاج المسلم إلى الخلاف والنضال لقيادة آخر ودعوته إلى الإسلام، لأن من لم يستجب للدعوة سيعاقبه الله يوم الجزاء. جاء في كلام الله لرسوله، ﷺ: لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ⁷⁴.

وجاء خطاباً له ولما جاء بعده: فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ⁷⁵.

ج. تبجيل الإنسان وتكريمه من قبل الله، وأصل لا إكراه في دين:

عندما برأ الله آدم (عليه السلام) أمر الملائكة بالسجود عليه: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا⁷⁶، ونذبه وذريته من بعده إلى عمارة الأرض بمنهج الله: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً⁷⁷.

ووفق هذه الغاية كرم الله الجنس البشري على سائر مخلوقات الله وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا⁷⁸.

⁶⁹ . سورة النحل: 82.

⁷⁰ . سورة آل عمران: 20.

⁷¹ . الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين

القرطبي ج10/ص161.

⁷² . سورة الرعد: 40.

⁷³ . سورة الغاشية: 21-22.

⁷⁴ . سورة البقرة: 272.

⁷⁵ . سورة الشورى: 15.

⁷⁶ . سورة الإسراء: 61.

⁷⁷ . سورة البقرة: 30.

⁷⁸ . سورة الإسراء: 70.

خلق الله آدم عليه السلام، وأسجد له ملائكته وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا⁷⁹، وندبه وذريته من بعده إلى عمارة الأرض بمنهج الله: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً⁸⁰.

وفقا لهذا الهدف، كرم الله الإنسان فوق كل خلقه وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا⁸¹.

الإسلام ورسول الإسلام وأصحابه يحترمون روح الإنسان. لقد كان جلس قيس بن سعد وسهل بن حنيف في القادسية يحملان جثة. لقد قاموا احترامهما للجسد. وقيل لهم أن هذا هو جسد أهل الذمة، لماذا قامتا؟، وقالوا: إن النبي (صلى الله عليه وسلم) وقف للجثة نُقلت عنه، وأخبروه أنها جثة يهودي. قال النبي: أليس له نفس؟ فقام الاثنان للجسد باتباع رسول الله وما كان له من احترام للنفس⁸².

وأن الله كرم الإنسان لأنه منحه موهبة التمييز بين الصواب والخطأ بالعقل: { وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ }⁸³، وبموجبه وهبه الحرية والإرادة الحرة لاختيار ما يشاء { إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا }⁸⁴ { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ }⁸⁵.

ولذلك يمكن للإنسان اختيار ما يريد من الدين: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ }⁸⁶، ولكن يحسب الله أعماله في يوم الجزاء { وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا }⁸⁷.

وابن كثير يقول: لا ضغط ولا إكراه في الإسلام. الإسلام دين واضح وأسبابه وحججه واضحة ولا داعي للضغط والإكراه. ومن يؤمن بالإسلام في الحقيقة فقد أثار الله قلبه ورأى عينيه ومن عزف عن الإسلام أو قاوم الإسلام قلبه مظلم وعيناه قاتمان⁸⁸.

⁷⁹. سورة الإسراء: 61.

⁸⁰. سورة البقرة: 30.

⁸¹. سورة الإسراء: 70.

⁸². رواه البخاري ح (رقم الحديث، 1313)، ومسلم ح (رقم الحديث، 961).

⁸³. سورة البلد: 10.

⁸⁴. سورة الإنسان: 3.

⁸⁵. سورة يونس: 99.

⁸⁶. سورة البقرة: 256.

⁸⁷. سورة الكهف: 29.

⁸⁸. تفسير القرآن العظيم: لمنسوب للإمام الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، ج1/ص 416.

ويقول تعالى: "قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي، فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ"⁸⁹، وأيضاً جاء في الكتاب: " وَإِنْ جَا ذُلُّكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ، اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ"⁹⁰.

أسلافنا لم يجبروا أحداً على اعتناق الإسلام. على سبيل المثال، قال عمر بن الخطاب لرجل مسيحي عجوز: أسلم لأن الله قد أرسل محمد إلى الحق. قال الرجل العجوز: أنا كبير في السن وقريب من الموت. وتجنب إسلامه. قال عمر: أشهد الله. ولا إكراه في الدين.

الإيمان ليس فقط عندما يقول الإنسان بلسانه أنه قد آمن، ولكن أولاً وقبل كل شيء، يجب أن يؤمن بقلبه ويجب أن يعترف قلبه بهذا الإيمان. لذلك إذا اعترف الإنسان بأنه أسلم فقط بسبب الضغط والإكراه الذي تعرض له، ولكن قلبه لا يقبل الإسلام، فهذا الإيمان غير مقبول.

قول الإمام محمد بن الحسن الشيباني:⁹¹ ما صرح نبي الإسلام ولا خلفائه بضرورة اعتناق أي شخص الإسلام بالقوة. إذا اضطر الشخص الذي لا يتعرض لضغوط ليصبح مسلماً على أن يصبح مسلماً، مثل الذمي أو المستأمن، فلن يتم قبول إسلامه إلا إذا كان هناك سبب قوي لإسلامه بمحض إرادته وليس بالقوة. على سبيل المثال، عندما لم يعد مجبراً ولم يعد مضغوطاً للبقاء مسلماً، فهذا يدل على أنه أصبح مسلماً بمحض إرادته. إذا لم تثبت طوعية إسلامه قبل موته، فهو كافر، وإذا رجع إلى دينه لا يعتبر مرتداً لأنه لم يثبت بعد أنه أسلم وأن إسلامه كان صادقاً. يقول القرآن: لا أكره في الدين. لذلك، حسب هذه الآية، فكما لا يجبرنا أحد على أن نصبح كفاراً، فلا يجب أن نجبر أحداً على الإسلام. كما ذكر فقيه حنبلي أنه إذا أسلم شخص مثل الذمي أو المستأنس بالقوة، فلن يُقبل إسلامه حتى يثبت أنه أسلم طوعية⁹².

وهذا ما حدث فعلاً في زمن الحكيم بأمر الله الذي يصفه تارتون بالجنون والخبل. وكان جنونه هو الذي دفعهم أن أكره كثير من الذميين على الدين الإسلامي، فإذن الخليفة لهم للرجوع إلى دينهم، وارتد كثير منهم عام أربعمئة وثمانية عشر هجرياً.⁹³

⁸⁹سورة الزمر: 14-15.

⁹⁰سورة الحج: 68-69.

⁹¹شرح السير الكبير إمام محمد بن أحمد السرخسي: لمحمد بن الحسن الشيباني، شهرته: محمد بن الحسن، ج 10/ص 103.

⁹²المغني (ج 9/ص 29)، وانظر كشف القناع للبهوتي (ج 6/ص 180).

⁹³أهل الذمة في الإسلام، د. أس تارتون، ص 214.

أُجبر موسى بن ميمون لقبول الإسلام .هرب إلى بلاد مصر ورجع إلى عقيدته السابقة. لكن قاضي عبد الرحمن البيصاني اعتبره غير مرتد وقال: "من أسلم قسراً لا يقبله الإسلام شرعاً، وفي الحقيقة لم يسلم إطلاقاً". يقول الدكتور ترتون: "هناك تسامح جميل في هذه الجملة"⁹⁴. لقد فهم المسلمون ذلك وعلموا به، فأعطوه حرية العقيدة وممارسة العبادة لغير المسلمين ولم يجبروا أحداً بقبول الاسلام بالقوة أو الإكراه.

ثانياً: حرية القيام بالعبادة وضمان أمان دورها

لأن الدين الاسلامي يعتقد أنه لا ينبغي إجبار المرء على أن يصبح مسلماً، يضمن المسلمون لمن يتفق معهم أو يخضعون لوصايتهم أنه سيتم الضغط عليهم ليصبحوا مسلمين .لا يفعلون وهؤلاء الناس يظلون على دينهم ويؤدون عبادتهم .كما أن الرسول عفى عن أهل نجران وترك معابدهم ولم يتدخل في عبادتهم وشؤونهم، وكانوا على مسئولية الله ورسول الله. يقول ابن سعد: ذكر رسول الله في خطاب لأسقف بني الحارث بن كعب وجميع أساقفة نجران وأتباعهم: إذا إنهم أسلموا جميعهم في أمان الاسلام وتحت حماية الله ورسوله وإلا يجب عليهم دفع الجزية لأنه ليس جبر على إسلامكم والله تعالى لا يغير الدين بإكراه ويمكنهم البقاء على أسقفيتكم وكهانكم⁹⁵.

تصرف الخلفاء الراشديون بأسلوبه بعد النبي ودعوا الآخرين إلى الإسلام دون إكراه . على سبيل المثال، كتب عمر بن الخطاب لأهل القدس: "بسم الله الرحمن الرحيم؛ هذا خطاب من جانب أمير المؤمنين عمر منح فيه أماناً لأهل إيلياء، منحهم الأمان لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم...، أن لا تهدم ولا تخرب كنائسهم ولا تغصب أموالهم . وليس لهم الإجبار بقبول الدين ولا يتعدى بأحد... ووفقاً لما في هذا الخطاب عهد الله وذمة الرسول والخلفاء والمؤمنين. وكتب نفس الرسالة لأهل اللد⁹⁶.

وكتب نفس الرسالة لأهل اللد⁹⁷.

كتب عياض بن غانم مثل هذه الرسالة إلى أهل الرقة وأسقف الرها⁹⁸.

⁹⁴ أهل الذمة في الإسلام، د. أس ترتون، ص 214.

⁹⁵ الطبقات الكبرى ج1/ص266، وانظر كتاب الأموال، ابن زنجويه ج2/ص449.

⁹⁶ تاريخ الطبري، ج4/ص449، ويجدر هنا التنبيه إلى أن الصيغة التي أوردها ابن القيم رحمه الله للعهد العمرية لا تصح، وقد نبه العلماء على ضعف سندها، فقال الألباني: " وإسناده ضعيف جداً من أجل يحيى بن عتبة، فقد قال ابن معين: ليس بشيء. وفي رواية: كذاب خبيث عدو الله. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال أبو حاتم: يقتل الحديث ". إرواء الغليل، رقم الحديث 1265.

⁹⁷ المصدر السابق، ج4/ص449.

⁹⁸ المصدر السابق: ج4/ص449.

خشي عمر أن ينقض العهد الذي قطعه مع الكنيس بعده، ولمنع ذلك، كان يأمره بالصلاة هنا عندما يكون في الكنيس ويريد الصلاة. فخرج وصلى على الدرج ولم يقال الأذان وقال: لو صليت داخل الكنيس لأتباعي يفعلون بعدي وينقض العهد بيني وبينكم. وذكر في خطاب لهم أن لا يجمع على الدرجة لفريضة الصلاة، ولا يؤذن عليها، وقال بعده للبترك: أظهر لي مكانا لأبني المسجد فيه. قال: على الصخرة التي تحدث الله مع يعقوب عليها، ووجد كثيرا من الدم عليها، وشرع في إزالة ذلك.⁹⁹

عندما أغلب خالد بن الوليد على دمشق وفتحها، أرسل كتابا لأهل دمشق قائلا: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا خطاب من جانب خالد بن الوليد لأهل دمشق وإن دخلوا الاسلام يعطى لهم الإيمان في الانفاس والأموال والكنائس وسور المدينة، ويخرب ولا يغصب أي شيء من منازلهم، وأمان الله والرسول والخلفاء والمؤمنين لهم¹⁰⁰.

أعطت كتاباته سكان تلك الأرض التأكيد على أنه يمكنهم بسهولة أداء عبادتهم وخدماتهم الدينية¹⁰¹. اجعل الصليب مرثيا. أمر عمر بن عبد العزيز عملاءه بعدم تدمير الكنيسة ومعابد النار¹⁰². قال أبو وليد الباجي: كان أهل الذمة يؤدون جميع أعمالهم الدينية، ولا يحرمون من ذلك، إلا في التجمعات والأسواق، ولم يكن لهم علانية¹⁰³.

وقال فقهاء الاسلام إن المسلمين ضمنوا حق رعاياهم في العبادة¹⁰⁴، فقرروا أن "إحضار اليهودي في السبت ممنوع، ويظل المنع معه" ووفقا لرواية عن الترمذي والنسائي: أيها اليهود ليس لكم أن تعدوا وخاصة في يوم السبت¹⁰⁵.

يشمل الضمان الذي يكفل للذمي، بالإضافة إلى حياته، نزله أيضا، حتى لو كانت ممتلكاته تشتمل على الخمر أو الخنازير، وهي ممنوعة في الإسلام¹⁰⁶.

⁹⁹. تاريخ ابن خلدون: ج 2/ص 266.

¹⁰⁰. رواه البلاذري في فتوح البلدان، ص 166، وانظر كتاب الأموال، ابن زنجويه (473/2).

¹⁰¹. رواه أبو عبيد في الأموال، ص 138.

¹⁰². رواه أبو عبيد في الأموال، ص 138.

¹⁰³. المنتقى شرح موطأ مالك للباجي ج 2/ص 178.

¹⁰⁴. غاية المنتهى في جمع الإقناع والمنتهى: مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ج 2/ص 604، وقد أكد عليه عدد من الفقهاء.

انظر: الإنصاف للمرداوي، ج 4/ص 248، وكشاف القناع للبهوتي، ج 3/ص 140، والحديث رواه الترمذي، ح 2733، والنسائي، ح 4078، وأحمد ح 17626.

¹⁰⁵. غاية المنتهى وشرحه، ج 2/ص 604، وقد أكد عليه عدد من الفقهاء. انظر: الإنصاف للمرداوي، ج 4/ص 248، وكشاف القناع للبهوتي ج 3/ص 140، والحديث رواه الترمذي ح 2733، والنسائي ح 4078، وأحمد ح 17626.

¹⁰⁶. اختلاف الفقهاء، ج 233.

إجماع المسلمين على أن أهل الذمة يمكنهم أن يأكلوا ما يراه دينهم مشروعاً، كالخمر أو لحم الخنزير، وأن يجدوا أماكن مناسبة لهم، وإن كان في بلاد قليلة المسلمين¹⁰⁷.

حتى لو ارتكب الخاطئ الزنا وشرب الخمر، فلا يمكن للإمام إلا أن يمنعه من ذلك علانية وإيذاء المسلمين. إذا خالف حاكم مسلم القواعد والأصول، فقد ظلم، وجب إبعاده، على سبيل المثال، عندما غصب الوليد بن عبد الملك من المسيحيين كنيسة يوحنا جبراً وقوة وحولها مسجداً، اعتبره جماعة المسلمين غصباً. فلما اشتكى النصارى إلى عمر بن عبد العزيز أمر بإرجاع الساعي إليهم فرضاهم المسلمون وصالحوا معهم¹⁰⁸.

واشتكى المسيحيون لعمر بن عبد العزيز من كنيسة أخرى بدمشق استولى عليها الأمويون، وأعيدت تلك الكنيسة إلى المسيحيين¹⁰⁹.

الإسلام متسامح مع أهل الذمة ويسهل عليهم، على سبيل المثال، لا يطلب منهم رفع دعاوى في المحاكم الإسلامية.

إنهم لا يجبرونهم على الخضوع لأحكام الشريعة العامة التي تخص أمن المجتمع وصحته. ويقول العيني نقلاً من الزهري: جاء في السنة أن الذمي في حقوقه ومعاملاته وموارثه يتعامل مع غيره من الذميين الذين لهم نفس الدين عند الذمي؛ ولكن إذا رغب في قبول حكمنا، نحكم له بالقرآن الكريم¹¹⁰.

ويذكر أيضاً قول ابن قاسم أن الذمي يجب أن يتوجه إلى ولي أهل الإسلام لتقديم شكوى، ويجب أن يكتفي بذلك، ولكن على الحاكم الإسلامي أن يفعل ذلك فقط برضاء أسقفهم. وإذا لم يرض الأسقف، حتى بموافقة طرفي الشكوى، فليس للحاكم الإسلامي أن يحكم¹¹¹.

قال مرداوي إن من واجبات الشريعة الإسلامية أنه إذا تم إبرام عقد الذمة، فيجوز لأهل الذمة دفع الجزية. الالتزام بأحكام المجتمع من انسياب أحكام المسلمين عليهم، وعليهم اتباع أحكام المسلمين في الحياة والمال والعرض، ووضع حدود لهم فيما ينهون عنه¹¹².

¹⁰⁷ التمهيد، ج 14/ص 392، وانظر: أحكام أهل الذمة، ج 1/ص 317، والمحلى ج 9/ص 118.

¹⁰⁸ رواه أبو عبيد في الأموال (223)، وانظر الأموال، ابن زنجويه (388/1)، وفتوح البلدان (169).

¹⁰⁹ عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفى بدر الدين العيني، ج 16/ص 161.

¹¹⁰ عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفى بدر الدين العيني، ج 16/ص 161.

¹¹¹ الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، علي بن سليمان المرادوي أبو الحسن، ج 4/ص 222.

أقوال المؤرخين الغربيين عن تسامح المسلمين مع غير المسلمين:

أفضل وثيقة يمكننا تقديمها لتأكيد التزام المسلمين بهذه المبادئ هو ما سجله المؤرخون الغربيون والشرقيون. ويظهر أن المسلمين لم يضغطوا قط على أي من تحت حكمهم وولايتهم ليصبحوا مسلمين. يقول ويل ديورانت: تمتع الذميون، سواء كانوا مسيحيين أو يهودا أو زرادشتيين أو صابئة، إلخ، بتسامح وتسهيل الخلافة الإسلامية بطريقة لم نشهدها من قبل في الأراضي المسيحية. أهل الذمة أحرار في أداء شعائهم الدينية، ولن يتم تدمير كنائسهم ومعابدهم¹¹³.

كما يقول ان يهود الشرق الأدنى الذين سئموا طغيان حكامهم رحبوا بمساعدة المسلمين للتخلص من طغيانهم بالحرية الكاملة في حياتهم ودينهم لأنهم أصبحوا تحت حكم الدولة الإسلامية المسلمون. كان المسيحيون أحراراً في الاحتفال بأعيادهم علانية، وكان بإمكانهم ذلك. والحجاج المسيحيون يأتون أفواجاً آمنين لزيارة الأضرحة المسيحية في فلسطين.. وأصبح المسيحيون الخارجون على كنيسة الدولة البيزنطية، الذين كانوا يلقون صوراً من الاضطهاد على يد بطارقة القسطنطينية وأورشليم والاسكندرية وإنطاكيا، أصبح هؤلاء الآن أحراراً آمنين تحت حكم المسلمين".

يذكر معرب (حضارة العرب) ما قاله رابرتسن¹¹⁴، في (تاريخ شارلكن): المسلمون غيورون على دينهم وحريصون جداً على نشر دينهم، لكنهم متسامحون وميسرون تجاه الأديان الأخرى. وليس لديهم أي ضغط أو إكراه على أتباع الديانات الأخرى ليصبحوا مسلمين، ويطلقون على الجميع حرية ممارسة تعاليمهم الدينية بحرية. كما يذكر ما قاله الراهب في (رحلة دينية في الشرق): للأسف يقتبس المسيحيون التسامح من جماعة المسلمين ودلالة على اللطف بين الأمم واحترام آراء الآخرين وفرض أي عقيدة عليهم بالإكراه والجبر¹¹⁵.

كما أن ترتون في (أهل الذمة في الإسلام) يذكر شهادة البطريرك عيشو يابه الذي تكفل مهمة البابوية حتى سنة ستمئة وسبعة وخمسين هجرياً- قائلا: العرب هم الذين فتحهم الله على

¹¹² قصة الحضارة، ج12/ص131.

¹¹³ قصة الحضارة، ج12/ص131.

¹¹⁴ وهو صاحب الكتاب "تاريخ شارلكن".

¹¹⁵ حاشية الصفحة، ص128 من كتاب "حضارة العرب" لغوستاف لوبون.

العالم كما تعلمون عاملونا لأنهم ليسوا أعداءنا مسيحيين، لقد رفعوا أمتنا، وكرموا كهنتنا وأساقفتنا، وساعدوا كنائسنا¹¹⁶.

والمفكر الأسباني بلاسكو أبانيز في (ظلال الكنيسة) يتحدث عن فتح أندلس بيد المسلمين قائلاً: لم يكن غزو إسبانيا من قبل رجال من إفريقيا حرباً للغزو بل محاولة لنشر الإسلام. الشعب الإسباني رحب بهم جيداً وأهل القرى أسلموا دون مقاومة. لقد أعطاهم الإسلام حرية العقيدة، واحترمت المساجد حقوق الكنائس ومعابد الديانات الأخرى، ولم تسعى أبداً للتغلب عليها¹¹⁷.

والمؤرخ الإنجليزي توماس أرنولد في (دعوة الاسلام) يقول: إن المسلمين الذين فتحوا النصارى في القرن الأول الهجري كانوا متسامحين للغاية مع المسيحيين، واستمر هذا النوع من السلوك في القرون اللاحقة، ولهذا السبب العديد من القبائل اعتنق المسيحيون الإسلام بمحض إرادتهم. يعيش العديد من المسيحيين اليوم بشكل مريح بين المسلمين، وهذا دليل على ما تحدثنا عنه¹¹⁸.

وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: شهد المسيحيون واليهود والزرادشتيون في فترة ما قبل الإسلام التعصب الديني بأسوأ طريقة ممكنة. لكن الإسلام عاملهم بتسامح ولم يمنعهم من أداء شعائره الدينية، وترك معابدهم وكنائسهم ومعابدهم وأديرةهم، ولم يتسبب في اضطهاد أو إزعاج لأتباع الديانات الأخرى. أين في التاريخ ومتى في التاريخ شوه هذا المستوى من التسامح¹¹⁹.

كما يذكر أولاغي المؤرخ الإسباني: هناك أقلية نصرانية أثناء النصف الأول من القرن التاسع تعيش في مدينة قرطبة وتعمل عباداتها تحت ظل حرية تامة

يقول القسيس إيلوج: نحن نعيش معهم بدون أن نواجه بشيء من انزعاج وصعوبة في مجال ديننا¹²⁰.

على الرغم من هذه الأمثلة التي تم تسجيلها في التاريخ وما زالت أقوال المؤرخين مؤرخين يروون أحداثاً غريبة لتشويه سمعة الإسلام، على سبيل المثال، يقول زيغرد: إن الإسلام لم يضغط على الدول المهزومة لتغيير دينهم حتى يتمكن من ذلك. فرض الضرائب عليهم¹²¹.

¹¹⁶ . أهل الذمة في الإسلام، ص159.

¹¹⁷ . فن الحكم في الإسلام، مصطفى أبو زيد فهمي، ج387.

¹¹⁸ . الدعوة إلى الإسلام، ص51.

¹¹⁹ . شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ص364.

¹²⁰ . حوار الثقافات في الغرب الإسلامي، سعد بوفلاقة، ص14.

مثل هذه التصريحات غريبة وبعيدة عن الحقيقة، فمثلاً يقول توماس ارنولد: كانت الجزية على مصر اثني عشر مليون دينار في العهد العثماني وبلغت خمسة آلاف دينار في عهد معاوية، كما كانت في خراسان. بعض الحكام لم يقطعوا جزية أهل الذمة حتى بعد إسلامهم، وحتى هذا جعل عمر بن عبد العزيز يقلل واليه في خراسان لأنه فعل ذلك وكتب له: لقد أرسل الله النبي(ص) لهداية الناس ولا لجمع الضرائب¹²².

ولكن ماهو سبب اعتناق الأمم للإسلام وقبوله؟

وينقل الخربوطلي عن المستشرق دوزي في كتابه "نظرات في تاريخ الإسلام" قوله :
تسامح المسلمين مع أهل الذمة دفعهم إلى اعتناق الإسلام لأنهم رأوا سهولة وبساطة في الإسلام لم يروها في الديانات الأخرى.

ويذكر غوستاف لوبون في كتاب (حضارة العرب) : ما نشر القرآن والإسلام لم يكن القوة والضغط، بل العامل الأساسي في الحرية التي منحها المسلمون لأتباع الديانات الأخرى. فإذا حدث أن بعض المسيحيين زوروا الإسلام واعتبروا اللغة العربية لغتهم؛ والسبب في ذلك أن العرب المنتصرين لديهم أشكال من العدالة لا يبرم معها الناس أي اتفاق، وبسبب هذا كان الإسلام سهلاً لدرجة أن الديانات الأخرى لم تكن تعرفها¹²³.

ويذكر: إن من أهم العوامل التي أغفلها المؤرخون عن العرب الفاتحين تسامحهم وتيسيرهم تجاه المهزومين. في الواقع، دفع هذا التسامح العديد من أتباع الديانات الأخرى إلى قبول أن الإسلام دين تسامح وأن المسلمين المنتصرين لطفاء ومتسامحون ويتمسكون بالإسلام. لم يسبق لهم أن رأوا أي دين أو شيوخ من هذا القبيل، ويتفق معه ويل ديورانت ويقول: بسبب هذا التسامح مع المسلمين، أصبح الكثير من المسيحيين واليهود والزرادشتيين والوثنيين مهتمين بالإسلام وانضموا إليه¹²⁴. غزا الإسلام قلوب العديد من الأمم، من الصين وإندونيسيا إلى المغرب والأندلس، فابتلع عقولهم، وتغلب على أمزجةهم، وملأ حياتهم، وخلق فيهم الآمال والتطلعات. أصبح الأمر سهلاً¹²⁵.

¹²¹ شمس العرب تسطع على الغرب، زيجريد هونكه، ص365.

¹²² طبقات ابن سعد ج5/283، والدعوة إلى الإسلام لآرنولد، ص93.

¹²³ الإسلام وأهل الذمة ص111، وحضارة العرب، ص127.

¹²⁴ حضارة العرب، ص127.

¹²⁵ قصة الحضارة، ص176.

ويقول روبرتسون في كتابه "تاريخ شارلكن": الإسلام ليس جماعة دينية في نظرنا، أو أن أنبياء هذا الدين ليسوا قادة عسكريين وراء الجيوش أو الرهبان بعد الفتح، فهم لا يسلمون أحداً بالسيف أو اللسان، إلا من يؤمن بهذا الدين بدافع الحماسة. والرجوع طوعاً وطوعاً إلى هذا الدين . وهذه نتيجة الوعود التي أعطاها القرآن عن مواهب التأثير والاختزال بالاسباب¹²⁶.

ويقول آدم متز: "ولما كان الشرع الإسلامي خاصاً بالمسلمين، فقد خلّت الدولة الإسلامية بين أهل الملل الأخرى وبين محاكمهم الخاصة بهم، والذي نعلمه من أمر هذه المحاكم أنها كانت محاكم كنسية، وكان رؤساء المحاكم الروحيون يقومون فيها مقام كبار القضاة أيضاً، وقد كتبوا كثيراً من كتب القانون، ولم تقتصر أحكامهم على مسائل الزواج، بل كانت تشمل إلى جانب ذلك مسائل الميراث وأكثر المنازعات التي تخص المسيحيين وحدهم مما لا شأن للدولة به"¹²⁷.

ويذكر أيضاً: وما يمكن الإعتماد عليه من المصادر هو أن المسيحيين كانوا مستقلين في نزاعاتهم ولم يكونوا يرجعون إلى القاضي المسلم إلا في قضايا القتل¹²⁸.

يقول خربوطي نص مقتبس من الدكتور فيليب في كتابه التاريخ العرب: كان أهل الذمة على استعداد لرفع شكاواهم إلى المحكمة الإسلامية لحلها وحلها على أساس الشريعة الإسلامية، وطلبوا من سلطاتهم الدينية تقسيم ميراثهم على أساس الإسلام¹²⁹.

ثالثاً: المعاملة الحسنة وحسن العشرة

يأمر الله المسلمين في القرآن بالإحسان لمعارضهم في دينهم، الذين لم يقوموا بأذيهم والقتال معهم، ويقول: "لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"¹³⁰.

يذكر الطبري: وتعني هذه الآية أن الله يطلب منك الخير لمن لا يقاتلك في الدين وفي أي أمة أو دين، وأن تعاملهم بالعدل. يقول الله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } أي أن الله يحب العبيد فقط. يحب الله الذين يصنعون الخير للذين يحسنون إليهم والذين يحسنون إليهم¹³¹.

¹²⁶ روح الدين، عفيف طيارة، ص412.

¹²⁷ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج2/ص93.

¹²⁸ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج2/ص95.

¹²⁹ الإسلام وأهل الذمة، الخربوطي، ص119.

¹³⁰ سورة الممتحنة: 8.

¹³¹ تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري

(المتوفى: 310هـ)، (ج 12/ص62).

البر أحسن المعاملة في الإسلام، والله يأمر عباده بالبر مع والديهم، وقال النبي: البر والإحسان من أحسن الخلق¹³².

يقول القرافي أثناء عدّ أشكال البر التي المسلمون مأمورون به أمام أهل الذمة: لنتحدث إليهم من باب الرحمة لا من خوف والذل، وإمكانية إيذاءهم في الحي مع القدرة على تدميره، ولطفنا معهم، لا بدافع الخوف والمجد والدعاء لهم. الهدي، وجعلهم بين السعداء، نصحهم في جميع أمور دينك، وإذا تضرر أحد منهم، فاحفظ رباطك... إذا كان السامي معه أو بدونه، أو إذا كان العدو مع عدو حسن التصرف، فهذا السلوك فضيلة أخلاقية ويعمل بأمر الله ورسوله¹³³.

الأخلاق الحميدة للمسلمين ليست فقط في هذه الحالة، لكنهم يعاملون الآخرين بهذه الطريقة في كثير من الشرائع الإسلامية، وسلوكهم مبني على الإنسانية والرفق.

من واجبات الإسلام حسن السلوك والرحمة حتى لمن له دين آخر، وحتى الله يأمر الطفل بحسن معاملة والديه في أي موقف، حتى لو دعاه الأهل للشرك والضغط عليه: وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا¹³⁴.

يذكر ابن كثير ويقول: إذا كنت شديد الحماسة لدين هذين من أتباعي، وبخلاف ذلك لا تقبل دينهم، بل أحسن معاملتهم¹³⁵.

وأنت أسماء بنت الصديق عند الرسول(ص) وقالت: يا رسول الله، دخلت علي والدتي رغبة، أأترك والدتي؟ فقال لها: صلي والدتك¹³⁶.

يقول الخطابي: من الجدير الرحمة على الكافرة في الأموال وأمثاله كما يعمل فيها على المسلمة، ويستخرج منه أن نفقة الوالد الكافر والوالدة الكافرة واجب، ولو كان الإبن مسلماً¹³⁷.

يقول محمد بن الحسن وفقاً للآية التالية من القرآن، يجب على الولد المسلم دفع النفقة لوالديه الذميين. يقول تعالى: وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا¹³⁸ ليس من السلوك الجيد أن يبارك

¹³² . رواه مسلم، رقم الحديث (2553).

¹³³ . الفروق، ج3/ص21-22، وقد بين رحمه الله في كلام نفيس له ضوابط المعاملة مع غير المسلمين، وما يجوز منها وما لا يجوز، فليرجع إليه..

¹³⁴ . سورة لقمان: 15.

¹³⁵ . تفسير القرآن العظيم المنسوب للإمام الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، ج3/ص446.

¹³⁶ . رواه البخاري، رقم الحديث، 2620، ومسلم، رقم 1003.

¹³⁷ . فتح الباري، ج5/ص234.

¹³⁸ . سورة لقمان: 15.

الولد وأن يتصور والديه جوعاً حتى الموت. من الضروري أيضاً الانتباه إلى حقيقة أن الأجداد هم أيضاً آباء وأن كل ما يدين به الآباء لهم ينتمي إليهم أيضاً¹³⁹.

ومثال آخر من الرحمة مع الكافر أن عبد الله بن مروان قال إنني قلت للمجاهد: لي قريب مشرك لي دين ضدي، فهل أقطع علاقتي به؟ نعم، لك علاقة معه¹⁴⁰. وتتسع العدالة وتتسع القرابة مع المسلم لتصل إلى الرحم البعيد الذي عمره مئات السنين. وهنا ينصح رفقائه بالإحسان والبر بالشعب المصري وأن يقوموا بصلة رحم قديم معهم يعود لإبراهيم(ع) ويقول(ص): ستغلبون على مصر وتفتحونها.. فبعد فتحها عليكم بالإحسان على الشعب المصري، ولهم الذمة والرحمة¹⁴¹.

يقول النووي: تكون الذمة كالقداسة، والحق وهي الذمام، ولكن والرحمة هاجر أم إسماعيل وهو منهم. زيارة المريض هي من أنواع خير الرحم ورحمته. على سبيل المثال، زار رسول الله كلاً من عمه المريض وجاره المريض¹⁴².

إن تقديم الهدية هو سلوك جيد آخر يجذب القلوب ويزيل الاستياء. قدم الرسول الهدايا لمعارضيه دينه لكسب قلوبهم، وروى ابن زنجية أن النبي(ص) أعطى لأبي سفيان أفضل التمر وهو في مكة. وأرسل له كتاباً ليستهديه، وأرسل أبو سفيان هدية له¹⁴³.

يوم خيبر قبل الرسول الهدية التي أرسلتها إليه زينب ابنة الحارث اليهودي رغم أن تلك الهدية كانت شاة سامة وكانت في الحقيقة للخداع وليس للصدقة والحب. ومرة أخرى دعا رجل يهودي النبي إلى أكل خبز منقوع في الدهن الحامض وقبل النبي¹⁴⁴. ومن الأمثلة الأخرى في هذا الصدد أن النبي قبل هدايا الملوك، مثل هبة المقوقس أو إبله الإكيدر والكسرة¹⁴⁵.

قال ابن قدامة: قبل النبي هدية المقوقس، فلا إشكال في قبول هبة جنود الكفار. أو أعطى النبي الثوب الثمين لعمر بن الخطاب، وأعطاه لأخيه الذي كان في مكة والمشرک¹⁴⁶.

قال النووي: وهذه الأمثلة تدل على جواز الاختلاط بأقارب الكفار وإحسانهم وتقديم الهدايا لهم. ينقل البخاري عن المجاهد قوله: "سمعت عبد الله بن عمرو قال لعبد كان يقوم بسلخ شاة: يا

¹³⁹ المبسوط، ج4/ص105.

¹⁴⁰ رواه أبو عبيد في الأموال، ص804.

¹⁴¹ رواه مسلم، رقم الحديث، 2543.

¹⁴² شرح النووي على صحيح مسلم، ج16/ص97.

¹⁴³ رواه ابن زنجويه في كتاب الأموال، ج2/ص589.

¹⁴⁴ رواه البخاري ح (2617)، ومسلم (2190).

¹⁴⁵ انظر البخاري ح (1482)، وأحمد ح (749).

¹⁴⁶ المغني، ج9/ص262 وانظر: كتاب الأموال، ابن زنجويه، ج2/ص590.

عبد عندما سلخ الخروف أعطه لجارنا اليهودي . "قال غلام: أهدا على اليهودي؟ قال عبد الله بن عمرو: سمعت من النبي أنه نصح الجار كثيرًا لدرجة أننا خشينا أن يرثهم¹⁴⁷ .

وقد نص الفقهاء على الشريعة للضيف وعليه احترامها على كل طرف سواء أكان مسلمًا أم غير مسلم. يقول أبو علي: يجب على المسلم أن يستقبل أي طرف سواء كان مسلمًا أو كافرًا، وينقل أحمد عن حنبل قوله إنني سألت النبي عما يجب أن يفعله إذا استقبل الإنسان ضيفًا من الكفار. قال النبي: ليل الضيف هو من الحقوق الواجبة على المسلم، وهذا القول يشير إلى وجوب استقبال الضيف سواء كان مسلمًا أو كافرًا¹⁴⁸ .

ومن حقوق الضيف أن يسليه المضيف قدر استطاعته كما فعل الرسول لعدي بن حاتم. يقول عدي بن حاتم: كان النبي جالسًا في المسجد لما ذهبت إليه، فقالت جماعة: هو عدي بن حاتم. وأتيتُ بدون كتاب ولا أمان، وعندما ذهبت عنده أخذ يدي... وجاء بي إلى منزله، والوليدة أَلقت وسادة له وهو جلس عليها¹⁴⁹ .

ومن أكبر أشكال الإحسان والبر؛ حينما يدعو الرسول (ص) لغير المسلمين، وهو شيء من إحسانه للعالمين، كما يدعو لقوم دوس، وقد دخل الطفيل بن عمرو الدوسي وصحابته عنده وقالوا: يا رسول الله، لقد أصبحت قبيلة دوس كافرين؛ فنسألك للدعاء عليها، قيل: إذا دعا على دوس هلك - وقال النبي: (نسألك الله أن يهدي دوسا ويرشدهم)¹⁵⁰ .

وعندما قالوا له (ص) في موضع آخر: يا رسول الله، نسألك لتدعو على الكفار.. وقال: لم أبعثني الله للعن، بل أرسلني للرحمة.

رابعاً: العدالة في معاملتهم

العدل من القيم والأخلاق الرئيسية والهامة يدعمها الاسلام ويحققها. والعدالة هدف قريب ميسور إذا تعلق الأمر بالنسب والإخوة الدينية والشؤون الموجبة لتعاطف البشر لها.

تتحدد الصدق في الصداقة والحب عندما تكون الأديان مختلفة ومصالح الأفراد مختلفة، وإذا أحب الإنسان فحبه حقيقي. والسؤال الذي يطرح نفسه هو ما حكم الشرع في العدل لغير المسلمين، وهل عمل المسلمون أو عارضوا ما يقوله دينهم عن العدل؟ الإسلام دين العدل ويؤكد

¹⁴⁷ . شرح النووي على صحيح مسلم، ج14/ص39.

¹⁴⁸ . رواه البخاري في الأدب المفرد، ص95، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص72.

¹⁴⁹ . رواه الترمذي، رقم الحديث 2954، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، رقم الحديث، 2353.

¹⁵⁰ . رواه البخاري، رقم الحديث 2937، ومسلم، رقم الحديث 2524.

العدل، وحيث يكون العدل هو معاملة المخالفين الذين ظلموا المسلمين بسبب الاختلاف في الرأي والكرامية، فإن الإسلام يؤكد على مراعاة العدالة أكثر من أي وقت مضى: يقول الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ¹⁵¹.

قال القرطبي: فهذه الآية تدل على أن كفر الإنسان لا يمنعه من العدل، وتنص على أن التصرف مثلهم جائز وصحيح، على سبيل المثال إذا قتلوا نساءنا وأطفالنا؛ يجب ألا نقتل النساء وأطفالهن¹⁵².

وقال البيضاوي: إن شدة حقد المسلمين على المشركين لا ينبغي أن تجعلهم لا يقصفون العدل في معاملتهم، ولا يفعلون ما لا يجوز لتهدة قلوبهم اعدلوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ يعني العدالة هو الأقرب للتقوى¹⁵³.

لقد طالب الله من المسلمين معاملة خصومهم دينيا بالعدل وعدم اغتصابهم أو اضطهادهم، أن محبة الله تشمل هؤلاء المؤمنين وقال: لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ¹⁵⁴. فالعدالة مع الآخرين توجب لمحبة الله.

إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مخالف وعارض لمن يظلم الذمي ويحرمه من حقوقه ويقول: من يظلم ذميا أو يضيع حقوقه أو يكلفه فوق وسعه أو يأخذ شيئا منه بغير رضى؛ أكون حججه في الآخرة¹⁵⁵.

أكد الرسول أنه إذا ظلم المسلم غير مسلم فإنه سينتقم من الله بالتأكيد. هو قال: خوفوا من دعاء المظلوم ولو كان كافرا، لأنه لا مانع إزاء دعائه¹⁵⁶.

بالإضافة إلى التحذير من ظلم غير المسلمين، فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) يؤكد على عدم ظلم غير المسلمين المظلومين، قائلا: ربما تحاربون الآخرين وتغلبون عليهم، ويحافظون

¹⁵¹ سورة المائدة: 8.

¹⁵² الجامع لأحكام القرآن، ج 6/ص 110.

¹⁵³ مواهب الجليل لشرح مختصر خليل: محمد بن عبد الرحمن المغربي أبو عبد الله، ص 137.

¹⁵⁴ سورة الممتحنة: 8.

¹⁵⁵ رواه أبو داود ح (3052)، ونحوه في سنن النسائي ح (2749)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ح (2626).

¹⁵⁶ رواه أحمد ح (12140).

على أنفسهم ونساءهم وأولادهم بإعطاء أموالهم لكم، ويوافقكم على السلم، فلا تأخذوا منهم شيء أكثر من ذلك، لأنه لا يجدر لكم¹⁵⁷.

لهذا عندما قال رجل لابن عباس أننا سنمر على أهل الذمة، فهل نعطيهم الشعير أو غيره؟ قال ابن عباس: يجوز لكم أن تأخذوا من الذميين إلا ما وافقتم معهم عليه¹⁵⁸.

وذكر الرسول(ص) في رسالة السلم لأهل نجران: ولا يحول شيء من حقهم، ولا قدرتهم ولا من وضعهم السابق، ويجوز العمل بما وافقوا بدون أي ظلم عليهم¹⁵⁹.

وقد ذكر ابن حجر: يعني إذا قطع شخص عهدا مع أهل الاسلام، فهذا العهد قد يكون عقد جزية، أو حراسة من مسلم، أو عقد سلام¹⁶⁰.

اللافت للنظر أن الخوارج، رغم أنهم اعتبروه مباحًا لسفك دماء المسلمين، لم يقتلوا أهل الذمة خوفاً من كسر المعاهدة مع أهل الذمة. يقول ابن حجر إن الخوارج أطلقوا على خصومهم الكفار، واعتبروا جواز قتلهم، لكنهم لم يقتلوا الذميين، وقالوا: منع لهم بالعهد معهم¹⁶¹.

و يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): أي رجل يمنح رجلاً آخر أماناً لدمه، ولكن يقتله بعد ذلك، لأنني أبرئ من القاتل، ولو كان المقتول من جماعة الكفار¹⁶².

يقول القرطبي: المسلم والذمي كلاهما آمن من الموت لأنهما من أهل الأرض الإسلامية، وإذا سرق المسلم أموال أهل الذمة قطعت يده. ومعنى هذا الحكم أن مال الذمي وأموال المسلم متساويان، وعند تساوي أموالهما تساوت حياتهما أيضاً، لأن حرمة دم هذا الشخص تحرم سرقة أمواله¹⁶³.

عن عبد الرزاق عن إبراهيم النخعي قال: في زمن عمر قتل رجل مسلم رجلاً من حيرة من ذمة فقتله عمر¹⁶⁴.

¹⁵⁷ رواه أبو داود ح (3051)، ورواه سعيد بن منصور في سننه ح (2603) وضعفه الألباني لإبهام في إسناده في ضعيف أبي داود ح (665).

¹⁵⁸ رواه أبو عبيد في الأموال (219).

¹⁵⁹ رواه البخاري، رقم الحديث 3166.

¹⁶⁰ فتح الباري، ج12/ص259.

¹⁶¹ فتح الباري ج12/ص302.

¹⁶² رواه ابن حبان، رقم الحديث 5982، والبيهقي في السنن، ج9/ص142، والطبراني في معجمه الأوسط رقم الحديث 4252.

¹⁶³ أحكام أهل الذمة، ج2/ص737.

¹⁶⁴ الجامع لأحكام القرآن، ج2/ص246.

يقول الشافعي في كتابه المسند ان رجلا مسلما استعبد في زمن علي بقتل رجلا من الذمة . حكم على المسلم بالانتقام . فقبل أخوه الفدية وتنازل عن الثأر ، فقال له علي: ربما فرقاك وخافوك وهددوك؟ فأجاب: لا ، ليس الأمر كذلك ، لكن بقتل القاتل لن يعود أخي إلي ، فقبلت الفدية . قال علي: أنت تعلم ، إ الذميين لنا ، دمهم مثل دمنا ودياتهم كدياتنا¹⁶⁵ .

قال النبي: "إن الله تعالى ما أحلّ لكم الدخول بمنازل أهل الكتاب بغير إذن ، وأن لا تضربوا نسائهم ، ولا تأكلوا فواكههم ، إذا منحكم بئل عليهم¹⁶⁶ .

يذكر ابن عا بدين على هامش الدار ا لمختار حرام ابتعاد المسلمين عن أهل الذمة وعدم مضايقة أهل الذمة¹⁶⁷ .

يقول ابن عابدين في وصفه لذلك: بعقد الذمة ، وكل شيء واجب علينا حول المسلم هو أن نقوم بإنجازه عن الذميين . وعندما كانت الغيبة حرام للمسلم ، فهي حرام أيضا للذميين ، كما قيل أن الظلم ضد أهل الذمة يكون أشد¹⁶⁸ .

قال القرافي: إذا كان عقد فرضا فهو يلزمنا أمام الذميين ، إذ إنهم يكونون معنا وفي مجاورتنا يحافظون على الله ورسوله والدين الإسلامي كما يفعلون المسلمون . وإن عارضهم أحد وحطم سمعتهم وضر بهم ، وذلك يكون القضاء على مسؤولية الله والنبي والدين الإسلامي¹⁶⁹ .

هناك العديد من الأمثلة التي تظهر عدالة المسلمين تجاه أهل الذمة . وهذه من القضايا التي كان ينبغي الحكم عليها بين أهل الذمة والمسلمين . فعلى سبيل المثال ، عندما فقد أمير المؤمنين درعه ووجده مع يهودي ، حكمت الشريعة بينهما ورفضته لصالح اليهودي ، مما جعل ذلك اليهودي مسلماً . قال: أشهد أنّ لا إله إلاّ إله واحد وأن مح ، مدا رسول الله وأشهد أن هذا الدرع هو درع علي ، ولما جاء من سفين ونزل من بعثته . فقال له الإمام علي: الآن وقد أسلمت فهذا الدرع لك¹⁷⁰ .

ومن الأمثلة الأخرى قصة عمرو بن العاص أمير مصر وابنه . اشتكى عمرو بن كما اشتكى ابنه إلى قبطي . قال له القبطي: يا عمرو هل استعبدت الناس وهل تتوقع أن تلد أمهاتهم أطفالاً أحراراً؟¹⁷¹ .

¹⁶⁵ . رواه الشافعي في مسنده (ج1/ص344 ، والبيهقي في السنن ، ج8/ص34 .

¹⁶⁶ - رواه أبو داود ح (3050) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح (882) .

¹⁶⁷ - الدر المختار وحاشية ابن عابدين عليه ، ج6/ص410 .

¹⁶⁸ . الدر المختار وحاشية ابن عابدين عليه ، ج4/ص171 .

¹⁶⁹ . الفروق ، ج3/ص20 .

¹⁷⁰ . حلية الأولياء ، ج4/ص141 ، والبداية والنهاية ، ج8/ص4 - 5 .

¹⁷¹ . انظر: تاريخ عمر ، ابن الجوزي ، ص129-130 ، وانظر فتوح مصر ، لابن الحكم ، ص195 .

عندما تنبأ ابن راوه، وهو يهودي، بخير، حاولوا رشوته لكنه لم يقبل الرشوة. قال: "لا أريد أن أضطهدك بسبب كرهى لك". أتوقع التواريخ عشرين ألف مرة، إذا كنت تريدها أن تكون لك، وإذا كنت لا تريدها أن تكون لي.¹⁷²

إن عدالة الخلفاء تجاه أهل الذمة ورسلمهم والمؤمنين بدينهم من العجيب والعجيب. على سبيل المثال، عمير بن سعد أضر بشخص وترك محافظة حمص بنفسه وكتب للخليفة: لقد فعلت الشر، لم أعمل معك ولم أعمل من بعدك، لقد أسلمت لكنني في الحقيقة لست مسلماً. قلت لرجل مسيحي أن أدلكم الله، هذا ما اقترحت لي يا عمر، وإذا تركنا أيامي المؤلمة يا عمر بعد قراءة هذه الرسالة، فلن يكون أمام الخليفة سوى قبول استقالته.¹⁷³

يذكر في تاريخ دمشق أن عمير قال لخليفة زمانه عمر: لا يُصدق أن يكون محمد عدوتي يوم القيامة، ومن يعاديه فهو عدو.¹⁷⁴

ويقال أن عمر بن عبد العزيز أعلن أن من لديه شكوى يجب أن يحضر إليه ويقدم شكوى. جاءه أحد أهل الذمة واشتكى لوليد. لهذا السبب استولى عليها وليد زامين لحفيده. وأمر الخليفة بإعادة الأرض إلى من كان على رأسها.¹⁷⁵

في بعض الأحيان لم يكن المسلمون فقط تجاه أهل الذمة، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك ودخلوا وادي المغفرة. على سبيل المثال، في فترة معاوية بن أبي سفيان، كسر شعب بعلبك من الذمة معادتهم مع الشعب الإسلامي. إنه ضد الخيانة. يقول هشام: هذا وعد عام وهكذا.¹⁷⁶

هناك حالات اضطهاد ارتكبتها المسلمون وغيرهم في التاريخ، وقد أدانها فقهاء الإسلام. وهم يعتقدون أن هذه الأعمال قمع وعدم احترام لمبادئ الشريعة. على سبيل المثال، ذات يوم دخل هشام بن حكيم بن حزام في مجموعة الأنباط في المساء، كانوا يقفون أمام الشمس. سألهم لماذا هم هنا. قالوا إنهم سُجنوا بسبب الجزية. قال هشام: قال النبي (ص): يعاقب الله من يقوم بتعذيب الآخرين في هذه الدنيا. تحدث مع أمير فلسطين، عمير بن سعد، وأمر الأمير بالإفراج عنهم.¹⁷⁷

¹⁷² رواه أحمد، رقم الحديث، 14526.

¹⁷³ القصة رواها الطبراني في معجمه الكبير، ج17/ص52، وأبو نعيم في الحلية، ج1/ص248، قال الهيثمي: " رواه الطبراني، وفيه عبد الملك بن إبراهيم بن عنترة، وهو متروك ". مجمع الزوائد، ج9/ص383، ويشهد له خبر ابن عساكر الآتي.

¹⁷⁴ ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق (493/46)، والمتقي الهندي في كنز العمال، رقم الحديث، 37446.

¹⁷⁵ انظر: صفة الصفوة، ج2/ص115-116، والبداية والنهاية ج9/ص213-214.

¹⁷⁶ رواه أبو عبيد في الأموال، ص236، والبلاذري في فتوح البلدان، ص217.

¹⁷⁷ رواه مسلم، رقم الحديث، 2613.

ومن الأمثلة على الفظائع التي ارتكبتها المسلمون بحق أهل الذمة أن وليد بن يزيد كان يخاف من مسيحيي قبرص، فأخرجهم من قبرص. وقد اعتبر المسلمون هذا فعلاً قاسياً واعتقد الفقهاء أنه قمع. لهذا أعادهم وليد بن يزيد إلى قبرص، وأثنى عليه المسلمون على ذلك واعتبروه عادلاً¹⁷⁸.

ومثال آخر على ظلم المسلمين للدميين أن عمر بن عبد العزيز اقتطع ألف دينار من أهل قبرص، وزاد عبد الملك الألف دينار في زمن معاوية، لكن هشام زاد هذا المبلغ مرة أخرى. لكن الخليفة أبي جعفر منصور خففها مرة أخرى وقال: نحن أحق من أعدلهم ولن نزيد من ظلمهم¹⁷⁹.

عندما طرد الأمير صالح بن علي بن عبد الله بن عباس الذمي من جبال لبنان كتب له عزي فقيه الشام: كيف يلوم الجميع على خطايا بعض الناس ويطردون من أرضهم وممتلكاتهم. هل هو ممكن؟ كما أمر الله: **أَلَا تَرَىٰ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَىٰ**¹⁸⁰

في الواقع، كانت هذه الآية قدوته وقد تبعها. إضافة إلى ذلك فقد اهتم بشخصية النبي(ص)، فقال: إذا ظلم ذمياً وأجبرهم على أكثر مما يستطيعون تحمله، سأستجوبه وأسأله عن سبب ودليل.

وبحسب هذه الآية ومشية الرسول، ينبغي أن نعلم أن أهل الذمة ليسوا عبيداً، بل هم أحرار في الانتقال من أرض إلى أخرى¹⁸¹.

لقد اهتم العلماء والخلفاء بحقوق أهل الذمة على الدوام، وهم يحذرون من إهمال مسئولية الله والنبي، والالتزام بها؛ لأنه الشاهد والمراقب. حرص أهل الذمة على معرفة حقوقهم وأحوالهم، فذهب فريق منهم إلى عمر وسألوا عن ذلك، فقال عمر لتلك الجماعة: ربما المسلمون يقومون بتعذيب الذميين ويضيعون حقوقهم؟ قالوا إننا نعرف فقط الولاء والخير¹⁸².

بعث عمر برسالة إلى وكيله أبو عبيدة نصحه بمنع ظلم المسلمين وإيذائهم تجاه أهل الذمة، وعدم السماح للمسلمين بأكل مال أهل الذمة إلا إذا كان ذلك قانوناً. وإذا وضعوا شرطاً معهم، فسيتم تحقيق هذا الشرط¹⁸³.

¹⁷⁸ فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، ص 213-214، وانظر الأموال، ابن زنجويه، ج 1/ص 425.

¹⁷⁹ فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، ص 211.

¹⁸⁰ سورة النجم: 38.

¹⁸¹ رواه أبو عبيد في الأموال، ص 247-248، انظر: فتوح البلدان للبلاذري، ص 222.

¹⁸² تاريخ الطبري، ج 2/ص 503.

¹⁸³ رواه البلاذري في فتوح البلدان، ص 144.

ولما فرضت الضريبة على عمر سأل مصدرها خوفاً من أن تؤخذ من أهل الذمة بالقوة والإكراه، لأن المبلغ كان مرتفعاً، فقال: هذه الضريبة على الجزية وأعتقد. هل قتلتم الناس؟ قالوا: لا، أقسم بالله أننا أخذناه بسلام وطمأنينة. قال: هل استخدمتم الجلد والقوة؟ قالوا: لا. أشكر الله أنه لم يضع هذا الظلم في يدي وفي زمن قوتي¹⁸⁴.

خلال رحلته إلى الشام، لاحظ عمر أن المقلصون استقبلوا عمر بالسيوف والريحان بالدوران واللعب بأيديهم. وأمرهم عمر بالتوقف عن ذلك، فقال له أبو عبيدة: هذا هو تقليدهم، وإذا منعناهم من ذلك، فإنهم يعتقدون أننا قد قطعنا رباطهم. قال عمر: اتركهم. عن ابن زنجية أنه قال: اتركهم. وأطاع عمر والعمر أبي عبيدة¹⁸⁵.

فكره إساءتهم، وأن يحسبوا فيه به النقض، فتبع كلام أبي عبيد ومع اقتراب الوقت لم يغفل نصحية المسلمين في رعاية الذميين، وقال: ومنذ ذلك الحين، نصح الخليفة بأن يكون لطيفاً مع أهل الذمة، ونصحهم بالوفاء بوعدهم والقتال في دعمهم وعدم طلبهم أكثر مما يستطيعون¹⁸⁶.

وذكر في رسالة لوالي مصر: يا عمرو أعلم أن الله شاهدك ومراقبك وأعمالك، قال الله: وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا¹⁸⁷ وهو يعني المؤمن الذي يتبعه الناس أعلم أن هناك أشخاصاً معك وبجانبك يسمون أهل الذمة والعهد، وقد قال رسول الله عنهم وعن الأقباط: ((أوصى بالإحسان على الأقباط، لأن لديهم الذمة والرحمة))، وقد ذكر النبي (ص): ((من يظلم ذمياً أو يضيع حقوقه أو يكلفه فوق وسعه؛ أكون معارضا له في الآخرة، يا عمرو، احذر من عداوة الرسول عليكم، إنه عدو من يعاديه¹⁸⁸).

يقول الإمام علي، بلغته التقية من الله، لوكلائه: متى ذهبت إليهم في الصيف أو الشتاء، لا تشتري منهم الملابس، ولا تأكل من طعامهم، ولا تأخذ أربعة أرجل من الحيوانات ذات الأرجل الأربعة التي يعملون معها. ولا تجلدكم بدرهم واحد، ولا تجبرهم ولو درهما على ما أمرنا الرب بغفرانه، فإذا عارضت بما طلبته منك يجعلك الله به تجاهي، وإذا أخبرني بمخالفتك مع ذلك سأعزلك¹⁸⁹.

¹⁸⁴ - رواه أبو عبيد في الأموال، ص 91.

¹⁸⁵ - رواه أبو عبيد في الأموال، ص 223، وابن زنجويه في الأموال، ج 1/ص 386. والبلاذري في فتوح البلدان، ص 179.

¹⁸⁶ - رواه البخاري، رقم الحديث، 1392.

¹⁸⁷ - سورة الفرقان: 74.

¹⁸⁸ - كنز العمال، رقم الحديث 14304.

¹⁸⁹ - رواه أبو يوسف في الخراج، ص 18.

ذهب أبو يوسف إلى هارون الرشيد، وحذره من رعاية أهل الذمة واسترضاءهم وزيارتهم. ويسترضي قلبه بما ذكر من نسبه من النبي (صلى الله عليه وسلم) صاحب ذمتهم، وقال: يا أمير المؤمنين، يحسن بك أن تحسن من مسئولية نبيك وابن عمك، وأن تحرص على عدم مظلومتهم ومضطهدهم، وأن لا يضطروا إلى أكثر من خيرهم، وأن لا يؤخذ منهم شيء إلا كن صحيحاً¹⁹⁰.

ما يقوله المؤرخون عن هذا يشير إلى حضارتنا المتعالية. كتب مسيحيو حمص رسالة إلى أبي عبيدة بن جراح اعترفوا فيها بقيادتنا: نحن نحب ولايتك وعدلك أكثر من قهر الظلم، وسنطرد جيش هرقل من المدينة. لم يفتحوا أبواب المدينة للرومان، الذين كانوا من نفس الإيمان والدين¹⁹¹.

يستشهد المستشرق الألماني زيغرويد هانكه¹⁹²، في كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب) باقتباس هام من القدس بطيريك ويقول: إن القدس بطيريك في القرن التاسع يخبر أخيه القسطنطيني باتريك عن العرب: صفتهم الخاصة هي العدل، ولنا إنهم لا يضطهدون، ولا يستخدمون أي عنف في معاملتهم لنا¹⁹³.

خامساً: التكافل الاجتماعي

الذميون هم تحت رعاية المجتمع الإسلامي، ولعل هذا هو أهم ضمان يمنحهم الإسلام لهم. يقول الله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ¹⁹⁴، يأمر الله تعالى فيها المسلمين بالرحمة في التعامل مع بعضهم البعض ومع الآخرين حتى مع الحيوانات، وقال النبي (صلى الله عليه وسلم): ((ذا لا يرحم الشخص الناس لا يرحمه الله)) تشير كلمة "ناس" هنا إلى الكل دون مراعاة جنسهم ودينهم. قال ابن بطال: هذه الآية تحفز الناس على التصالح مع جميع الخلق، ومن المخلوقات جميعها المؤمن، والكافر، واليهام، والملوك، ونحو ذلك¹⁹⁵.

شجع الإسلام المؤمنين على أن يكونوا لطفاء مع أي شخص إلا من يغتصب المسلمين. جاء في القرآن: وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ¹⁹⁶.

¹⁹⁰ رواه أبو يوسف في الخراج، ص 149.

¹⁹¹ رواه البلاذري في فتوح البلدان، ص 187.

¹⁹² وهو المؤرخ المستشرق الألماني، و صاحب كتاب الماتع "شمس العرب تسطع على الغرب".

¹⁹³ شمس العرب تسطع على الغرب، ص 364.

¹⁹⁴ - سورة الأنبياء: 107.

¹⁹⁵ تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، ج 6/ص 42).

¹⁹⁶ سورة البقرة: 195.

أمر الإسلام بإخراج الزكاة على المسلمين وغيرهم ممن يستحقونها، كما جاء في كلام الله: **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ**¹⁹⁷ يقول القرطبي: "الفقراء بالمعنى الحرفي للكلمة أمر شائع ولا يشمل المسلمين فقط". كما تضم أهل الذمة. قال عكرمة أنهم يقصدون فقراء المسلمين وفقراء أهل الكتاب.¹⁹⁸ يذكر السرخسي: برأينا أن المفهوم إزالة فجوات الشخص الذي يحتاج ورفع غرضه بعمل هو قرابة من الشخص الذي يؤديه، وهذا المفهوم نتيجة للميل إلى الذميين، لأن التصديق عليهم قرابة بسبب النزعات، لأننا لم نمنع عن الإحساء والبر لمن لا يحاربنا، جاء في الآية: **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ**¹⁹⁹.

هناك اختلاف حاد في الرأي بين الفقهاء حول إمكانية دفع الزكاة لأهل الذمة. ومن ناحية أخرى، فإنهم يعتقدون أن التكفير على أهل الذمة جائز، وحتى كاساني يعتقد أن التكفير عن أهل الذمة أفضل من دفعه للمسلمين. ويرى أيضا أن دفع الصدقات للذمة يحل كإعطائها للمسلمين لأن دفع الصدقة لهم يدفعهم إلى الإسلام والرجوع إليها.²⁰¹

لكن القرآن يأمر بإعطاء الصدقات لغير المسلمين أيضا، وهو يميل إلى ذلك. ولعل ذلك يعود لما رواه أبو عبيد يان من أن بعض المسلمين على صلة قريظة ونضير، فرفضوا دفع الزكاة إليهما، وطلبوا إسلامهم ليصدقوا عليهما. أنزل الله الآية التالية: **لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسُكُمْ وَمَا تَنْفِقُونَ**²⁰²،²⁰³.

ذكر سعيد بن المسيب في رسائله أن النبي صدق على أقاربه اليهود²⁰⁴. كما يرى الفقهاء في جواز الزكاة على أهل الذمة، ويقول أبو رزين: كان مع سفيان بن سلمى مر علينا جماعة من المشركين، وأمرني بإعطاء الزكاة لأولئك الأسرى، ثم قرأ هذه الآية: **وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**²⁰⁵.

ويعتبر الفقهاء أيضا الآواقف جائزا لأهل الذمة ويعتبرونه مثالا للخير والخير الذي يحبه الله كثيرا. يقول محمد بن الحسن الشيباني: الوقف جائز لأهل الذمة كصدقة لهم، بل كما يجوز لهم

¹⁹⁷ سورة التوبة: 60.

¹⁹⁸ - الجامع لحكام القرآن ج 8/ص 174.

¹⁹⁹ - سورة الممتحنة: 8.

²⁰⁰ - المبسوط، ج 2/ص 210.

²⁰¹ - الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين الكاساني، ج 4/ص 262.

²⁰² سورة البقرة: 272.

²⁰³ - رواه أبو عبيد في الأموال، رقم الحديث 1321، وابن زنجويه في الأموال، رقم الحديث 1862، وصححه الألباني في تمام المنة ج 1/ص 389.

²⁰⁴ - رواية أبي عبيد، الأموال، رقم الحديث 1322، تصحيح الألباني لإسناده إلى سعيد، تمام المنة ج 1/ص 378.

²⁰⁵ - سورة الإنسان: 8.

الزكاة، فيجوز لهم الوقف أيضا. وروي أن صفية زوجة الرسول كان لها أخ يهودي أهدته، لأن من يهدي لأهل الذمة مثل المسلم الذي يهدي إلى مسلولو الأوقاف لمن يذهبون إلى كنائسهم ويبيعونها للمارة والمارة إلى أهل الذمة وغيرهم هذا صحيح²⁰⁶.

يعتبر القرآن أن أهل الذمة هم الذين يتصلحون مع المسلمين ولا يغتصبون المسلمين. يقول القرآن: لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ²⁰⁷.

يتحدث القرشي عن الخير والإحسان اللذين أمر باستخدامهما في التعامل مع غير المسلمين. فيقول: لقد أمر أنه حتى بدون شهوة داخلية، يجب أن يُعطى ضعفاء الذمة لطفًا وطعامًا، ويطعم جبايعهم ويعري. كما ينص على أن أرواح وممتلكات وشرف أهل الذمة يجب أن يحميها المسلمون ويجب مساعدتهم على الوقوف ضد الظلم وتحقيق جميع حقوقهم²⁰⁸.

ويذكر القرشي المالكي في بيانه لمختصر خليل: "إن دفع الأضرار ورفع الأذى من أهل الاسلام أو كل أمورهم حول الذميين تعتبر من واجبات الكفايات، بما في ذلك إطعام الجوعان وإلباس العورات، بحيث لم تؤد الصدقة ولا بيت المال به²⁰⁹.

وتصرف أصحاب النبي في هذا الصدد، وكتب خالد بن الوليد لنصارى الحيرة: يجوز إعطاء الصدقة لأي شيخ لك ضعيف، أو تعرض لحادث، أو غني منك فقير الآن، وأنا لا أخذ الجزية من هؤلاء الناس، وهؤلاء الناس لهم نصيب في الخزينة²¹⁰.

قال ابن زنجوية: رأى عمر بن الخطاب رجلا عجوزا من الذمة يتوسل الآخرين. قال عمر: لا يصح ويحق لنا أن نستغل شبابك ونأخذ الجزية منك. طلب من السماسرة عدم أخذ الجزية من كبار السن.²¹¹

بل وروي أن عمر أخذ الرجل العجوز بيده وأخذه إلى البيت وأعطاه ما كان في البيت ثم أرسله إلى خزينة الخزانة وقال: انظروا إلى هذا العجوز وأمثاله، هذا فليس من العدل أن يستغل شبابه ثم إذلاله في شيخوخته.

²⁰⁶ - الشرح الكبير ج6/ص212.

²⁰⁷ - سورة الممتحنة: 8.

²⁰⁸ - الفروق، ج3/ص21.

²⁰⁹ - شرح القرشي على مختصر خليل، ج3/ص109.

²¹⁰ - رواه أبو يوسف في كتاب الخراج، ص151.

²¹¹ - رواه أبو يوسف في الخراج (ص150-151)، وانظر الأموال، ج1/ص163.

إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَمَعْنَى الْفَقِيرِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْمُسْلِمُونَ، وَمَعْنَى الْفَقِيرِ أَهْل الْكِتَابِ.

أمر بعدم فرض ضرائب على هذا الشخص وأمثاله²¹².

وأمر: على من عجز عن دفع الجزية أن لا يأخذ منه الجزية، ويساعده العاجز²¹³.

مر عمر على برص الجابية من ذمة، فأمر بإعطائهم صدقات المسلمين، وأعطاهم جزءاً من الخزينة لقمة العيش²¹⁴.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى خادي بن عرطة أحد وكلائه: انتبهوا لأهل الذمة، وأعطوا نصيباً من الخزينة لكل منهم شيخ أو ضعيف أو لا دخل²¹⁵.

سجل المستشرق بارتولد²¹⁶، سجل اهتمام المسلمين بالذميين في كتابه الحضارة الإسلامية، كن حذرا وكان سلوكهم قائما على التسامح.

كما أمر الله المسلمين أن يرحموا بأهل الكتاب ولا يضطهدوهم: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) ²¹⁷.

وأيضاً: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) ⁽²¹⁸⁾.

يقول ابن جرير وابن أبي حاتم: (الجار الجنب): يهودي أو نصراني.

عن عبد الله بن عمرو شاة ذبحت. أصر على إعطائها لجارهم اليهودي. وقال: سمعت من راسل الله أنه قال: جبرائيل ينصحني دائماً بالجار، وهذه النصيحة إلى الحد الذي ظننت أن الجار يرثه مني²¹⁹.

²¹² - رواه أبو يوسف في كتاب الخراج 151.

²¹³ - تاريخ مدينة دمشق (ج1/ص178).

²¹⁴ - رواه البلاذري في فتوح البلدان، ص177.

²¹⁵ - رواه البلاذري في فتوح البلدان، ص177.

²¹⁶ - المؤرخ المستشرق وصاحب الكتاب "الحضارة الإسلامية".

²¹⁷ - سورة الممتحنة: 8.

²¹⁸ - سورة النساء: 36.

²¹⁹ - البخاري: رقم (6015)، 8/ 10. ومسلم: رقم (2625)، 4/ 2025.

سادساً: حمايتهم

ومن القضايا الفقهية في التعامل مع أهل الكتاب أنه إذا لم يكونوا أهل حرب، فعلى المسلمين أن يدعموهم ولا يغتصبوا أهل الكتاب. كما حرّمنا النبي من اضطهاد أهل الكتاب والاعتداء عليهم.

ذكر عبدالله بن عمرو بن العاص: يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): إذا قتل رجل ذمياً لم يدخل الجنة، وريحها يوجد من طريقة أربعين سنة²²⁰.

قالت أم سلمة: أوصى النبي حين وفاته: إنكم ستغلبون على أقباط مصر ويساعدوكم في سبيل الله²²¹.

يروى أبو صخر مدني حديثاً عن النبي رواه صفوان بن سالم عن ثلاثين من أصحاب النبي: قال النبي ((من يظلم ذمياً أو يضيع حقوقه أو يكلفه فوق وسعه أو يأخذ شيئاً منه بغير رضى؛ أكون معارضا له في الآخرة))²²²

ثم وضع إصبعه على صدره وقال: من يظلم ذمياً يكون تحت ذمة الله وذمة الرسول، يحرم الله ريح الجنة عليه، ولو يوجد ريح الجنة من طريق سبعين خريفاً²²³.

إن زيارة مرضى الكتاب ومقابلتهم من خير ما يفعله المسلمون. يقول أنس أن أحد عباد النبي صلى الله عليه وسلم مرض. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: خذونا إليه لزيارته. أخذ النبي إلى ذلك العبد بينما كان والده جالساً فوقه. قال النبي صلى الله عليه وسلم: اذكر توحيد الله بكلمة لا اله إلا الله ليشفع لك في يوم الجزاء، نظر العبد إلى والده. قال والده له: اسمع بما يذكره أبو قاسم وقله. قال العبد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. وقال النبي (ص): الحمد لله الذي نجاك من نار جهنم²²⁴.

إضاءات حول الموقف:

قال أحمد يمان: الإسلام يعامل كل جماعة وفكر بأفضل أنواع السلوك، وخاصة مع أهل الذمة الذين أبرموا معهم ميثاقاً، وحماية حقوقهم وحماية حياتهم وممتلكاتهم مثل حماية حقوق

²²⁰ - البخاري 6 / 193 و194 في الجهاد، والنسائي 8 / 25 في القسامة.

²²¹ الطبراني 23 / 256، وقال الهيثمي 10 / 63: رجاله رجال الصحيح.

²²² - أخرجه أبو داود (3052) قال المنذري: فيه مجهولون. انظر: مختصر السنن (4 / 255)، وانظر: الصحيحة (445).

²²³ - أخرجه أبو داود (3 / 170 رقم 3052) من طريق ابن وهب به.

²²⁴ - صحيح ابن حبان: ج7/ص227 ح2960.

المسلمين وحياتهم، ولا ينبغي للمسلمين إهانتهم، يمكنهم دفع الجزية أو أن يصبحوا مسلمين، وتجدر الإشارة إلى أنهم مختلفون عن الزرادشتيين والوثنيين²²⁵.

الإسلام دين اللطف والرحمة والرحمة والتواضع واللطف مع الآخرين، ولو لم يحب النبي هذا العبد اليمودي ولم يعامله بمثل هذه اللطف لما أسلم، فهذا درس عظيم ومثال جيد للمسلمين على ذلك. كونوا طيبين حتى تتحول قلوب الآخرين إلى الإسلام.

من ناحية أخرى، فإن اعتناق شخص للإسلام عشية الموت ورغبة النبي القوية في ذلك هو أسمى مظاهر الرحمة في أفضل صورها.

وقول أب الفتى: اتبع أبا القاسم، بما أنه يدل على أن اليهود لم يكن أمر الرسول ورسالته عليهم مخفية، ولكنهم أنكروا الحق وتكبروا له، يقول الله (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)²²⁶، جاء في الكتاب: (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ)²²⁷.

وقال مصطفى فايدة: ان الإسلام متسامحًا مع غير المسلمين منذ البداية. وأعطاهم كامل الحقوق والحريات. هذا النوع من النظرة موجود منذ البداية، أي منذ فتح مكة. منذ البداية، لم يفرض الإسلام أي إكراه على غير المسلمين ودافع عن أرواح وممتلكات غير المسلمين. منذ البداية تعايش المسلمون بسلام مع غير المسلمين واستمرت هذه الممارسة. وهذا السلوك تؤكد آية لا أكرة في الدين²²⁸، فقال النبي البداية، أي منذ فتح مكة. منذ البداية، لم يفرض الإسلام أي إكراه على غير المسلمين ودافع عن أرواح وممتلكات غير المسلمين. منذ البداية تعايش المسلمون بسلام مع غير المسلمين واستمرت هذه الممارسة²²⁹. وهذا السلوك تؤكد آية "لا إكراه في الدين"²³⁰، فقال النبي: " من يظلم ذمياً يكون تحت ذمة الله وذمة الرسول، يحرم الله ربح الجنة عليه، ولو يوجد ربح الجنة من طريق سبعين خريفاً"²³¹.

²²⁵ .AHMET YAMAN (2013).ZİMMÎ. TDV İslâm Ansiklopedisi 44CİLT. p.434-438.

²²⁶ .سورة البقرة: 146.

²²⁷ .سورة البقرة: 89.

²²⁸ .السير الكبير، ج10/ص103.

²²⁹ .-MUSTAFA FAYDA (2013).ZİMMÎ. TDV İslâm Ansiklopedisi 44 CİLT, P. 428-434.

²³⁰ سورة البقرة: 256.

²³¹ - أخرجه أبو داود (3/ 170 رقم 3052) من طريق ابن وهب به.

ويبقى في الموقف جملة أخرى من المعاني والفوائد؛ منها:

يجوز تشغيل المشرك بوصفه الخادم أو العامل ونحو ذلك.

يستحب زيارته إذا كان مريضاً، ولكن يكون الغرض من زيارته دعوته إلى الإسلام وتشجيعه على الإسلام.

هذه الحالة، أي حالة المرض، هي أفضل حالة يمكن فيها للمرء أن يقبل الحق ويطيعه. وهو مبدأ يجب على المبشرين استغلال أفضل وقت للإعلان.

والنصر والخلاص يدلان على الأسباب التي يجب تقديمها، وهذا لا يخالف التوحيد، وهذا يدل على الرواية التي قالها النبي: ((الحمد لله الذي نجاه من نار الجهنم بسببي)).

المبحث الثالث: واجبات الذميين

المطلب الأول: الجزية

على الذميين واجبات يلتزمون بها قبل دار الاسلام وهي الجزية والخراج والعشور. كما ان عليهم واجبات اخرى غير مالية يلتزمون بها قبل المجتمع ودار الاسلام. ونذكر شيئا موجزا عن هذه الوجائب.

قال ابن الاثير: الجزية هي عبارة عن المال الذي يعقد للكتابي عليه الذمة.

و عرفها ابن عرفة المالكي: الجزية ما لزم الكافر من مال لامنه و استقراره تحت حكم الاسلام و حمايته .

الجزية: هو المال المأخوذ من الذمي فهي ضريبة على الرؤوس يلتزم الذمي بأعطائها الى الدولة الاسلامية في ميعادها المعين عندما تتوافر شروط وجوبها و لم يوجد ما يسقطها²³².

شروط وجوب الجزية:

أولاً: العاقل و البالغ و الرجل ، فلا يجب على الصبيان و النساء و المجانين لأن الله تعالى أوجب الجزية على من هو أهل القتال .

ثانياً: السلامة من الامراض و العمى و الكبر عند الحنفية ، فلا تجب على المريض والاعمى و الشيخ الكبير، وهذا ايضا مذهب الحنابلة والمالكية والزيدية. وقال الشافعية تجب على هؤلاء لان الجزية عندهم كأجرة الدار فيستوي فيها الجميع ، وفي المذهب قول بعدم الوجوب تنزيلا لهم منزلة النساء والصبيان لانهم لا يقتلون اذا اسروا.

²³² كتاب الذميين والمستأمنين في دار الإسلام: الدكتور عبد الكريم زيدان. ص 137.

ثالثاً: و من إحدى أهم شروطها الحرية ، فلا تجب على العبد لأنه ليس مالكا للمال و لأن الله تعالى قال (حتى يعطوا الجزية) و لا يقال لمن لا يملك حتى يعطي .

رابعاً: الا يكون الذمي فقيراً عاطلاً لا قدرة له على العمل و الكسب و هذا مذهب الحنفية و الحنبلية و المالكية.

خامساً: الا يكون راهباً. وهذا مذهب المالكية والحنابلة أما عند الحنفية لا توضع الجزية على الرهبان الذين لا يخالطون الناس ، فان خالطوهم وضعت عليهم الجزية²³³.

والجزية وضعت على الذمي بدلا عن الدفاع عن دار الاسلام كما يقوم به المسلم لان القتال دفاع وحماية لمن فيها من مسلمين و ذميين. هذا القتال فرض على المسلم واما على الذمي غير مفروض , فكانت الجزية بدلا و عوضا عن اعفائهم من واجب المشاركة في القتال دفاعا عن دار الاسلام. وعلى هذا دلت السوابق التاريخية القديمة وعمل الصحابة الكرام و عقود الصلح التي عقدها قادة المسلمين مع اهل البلاد المفتوحة التي تنص صراحة على ان الجزية وضعت عليهم عوضا وبدلا عن حمايتهم من قبل دار الاسلام وسلطانها نظرا لإعفاء الذميين من واجب الدفاع عن دار الاسلام. ومن هذه العقود القديمة ما جاء في تاريخ الطبري ان خالد بن الوليد صالح اهل الحيرة على وضع الجزية عليهم وعقد الذمة لهم وكتب لهم كتابا جاء فيه (فلك الذمة والمنعة) فان منعناكم – أي حمينا ودفعنا عنكم – فلنا الجزية والا فلا حتى نمنعكم²³⁴.

ما يسقط الجزية بعد وجوبها:

وتسقط الجزية بعد وجوبها بإسلام الذمي أو موته ان كان لم يؤديها في حياته. وتسقط الجزية عن الذمي بعجز دار الاسلام عن حماية الذميين. و اشتراك الذميين في الدفاع عن دار الاسلام. وأشار بعض الفقهاء الى سقوط الجزية بعجز دار الاسلام عن حماية الذميين أو عند اشتراك الذميين مع المسلمين في الدفاع عن دار الاسلام ودفع العدو عنها , فقد جاء في كتاب شرح الازهار في فقه الزيدية (وإنما تؤخذ الجزية إذا كانوا في حماية الامام) . ومعنى ذلك ان الجزية لا تؤخذ اذا عجز الامام عن الدفاع عنهم. وجاء في شرح النيل في فقه الاباضية (وأن يتركها يعني ان يترك الامام الجزية كلها أن أعانوه على عدوهم بالسلاح²³⁵).

المطلب الثاني: الخراج

الخراج ضريبة مالية على الاراضي الخراجية, التي تركها المسلمون بيد اصحابها بعد فتحهم لبلادهم كما فعلوا في العراق, اذ ابقى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الاراضي المفتوحة بين اصحابها يزرعونها ويستغلونها وفرض عليهم ضريبة يؤدونها عن هذه الاراضي بشروط محددة ومقايير معينة بناء على نوع المكان من جهة خصوبتها وقربها من المدن ونوع ما

²³³ كتاب الذميين والمستأمنين في دار الإسلام: الدكتور عبدالكريم زيدان. ص 139-142.
²³⁴ معاملة الأقليات غير المسلمة والاجانب في الشريعة الإسلامية: لدكتور عبدالكريم زيدان.
²³⁵ المصدر السابق.

يزرع فيها. فاصحاب هذه الاراضي في الاصل كانوا ذميين لانهم بعد فتح المسلمين لبلادهم دخلوا في الذمة، الا ان هذه الاراضي تداولتها الايدي فيما بعد فتملكها المسلمون أو تملكوا بعضها بالشراء من اصحابها أو أن اصحابها اسلموا الا ان الخراج بقي على الارض²³⁶

أنواع الخراج

الخراج نوعان:

1. خراج الوظيفة: هو الذي يفرض على الأرض بالنسبة إلى مساحتها و نوع زراعتها . والأصل فيه ما فعله عمر بن الخطاب في أرض السواد بعد فتحها فقد تركها بأيدي أهلها ، وفرض على كل جريب أرض بيضاء تصلح للزراعة قفيزا مما يزرع فيها ودرهما ، وعلى جريب الرطبة خمسة دراهم ، وعلى جريب الكرم عشرة دراهم وقد جعل عمر هذه المقادير بمحض من الصحابة ولم ينكر عليه أحد اما جريب الأرض التي فيها اشجار مثمرة بحيث لا يمكن زراعتها فقد روي عن أبي يوسف انه قال اذا كانت النخيل والأشجار ملتفة جعلت عليها الخراج بقدر ما تطيق ولا أزيد على ما يوظف على جريب الكرم أي عشرة دراهم.

2. خراج المقاسمة: وهو أن يكون الواجب شيئا من الخارج نحو الخمس والسدس وما أشبه ذلك . وهذا النوع من الخراج جائز ، فقد فعله النبي (ص) مع أهل خيبر عندما فتحها .

الفرق بين النوعين:

1. في خراج الوظيفة يكون الواجب شيئا في الذمة يتعلق بالتمكن من الانتفاع بالأرض .
2. اما خراج المقاسمة فيتعلق بالخارج من الأرض لا بالتمكن من الزراعة حتى اذا عطل الأرض صاحبها مع التمكن من الانتفاع بها لم يجب عليه شيء.
3. و خراج الوظيفة يؤخذ مرة واحدة في السنة.
4. خراج المقاسمة فيكرر أخذه بتكرر الخارج من الأرض.

كم مرة يجب الخراج في السنة ؟

لا يؤخذ خراج الأرض في السنة الا مرة واحدة حتى ولو استغلها صاحبها في السنة مرارا هذا عند مذهب الحنفية . كما كان عمر بن الخطاب لم يأخذ الخراج من أهل الذمة الا مرة واحدة في السنة ، ولأن ريع عامة الأراضي لا يكون في السنة غالبا الا مرة واحدة ، وهكذا الحكم يبنى على العام الغالب . فهذا اذا كان الخراج خراج وظيفة . اما اذا كان الخراج خراج مقاسمة فانه يتكرر بتكرر خروج الخارج ، لانه يتعلق بالخارج حقيقة كالعشر والظاهر أن مذهب الشافعية والحنابلة كمذهب الحنفية²³⁷ .

²³⁶ المصدر السابق.

²³⁷ كتاب الذميين والمستأمنين في دار الإسلام: الدكتور عبدالكريم زيدان. ص 161-162.

المطلب الثالث: العثور

يخضع الذميون لما يسميه الفقهاء بالتعشير، أي استيفاء ضرائب تجارية عن أموالهم التجارية التي ينتقلون بها من بلد إلى بلد آخر داخل دار الإسلام. ويشترط الفقهاء نصاباً معيناً لأموال حتى تخضع للضريبة، فبعضهم جعل النصاب بقدر نصاب الزكاة وبعضهم جعله أقل من ذلك، إلا أن الإمام مالك لم يشترط نصاباً معيناً لخضوع مال الذمي الذي يتجر به فعنده تجب هذه الضريبة على مال الذمي الذي يتجر به سواء كان قليلاً أو كثيراً، وحجته أن هذه الضريبة ليست زكاة كي يشترط لها نصاب الزكاة وإنما كالجزية المضروبة على أشخاص الذميين وهذه الجزية لا يشترط لها نصاب بل تجب على الذمي بقدر طاقته المالية فكذا هذه الضريبة التجارية تجب على أموال الذمي التجارية بغض النظر عن مقدارها فهذه الضريبة تؤخذ من الذمي ولا تؤخذ من المسلم لأن المسلم يدفع عن أمواله التجارية زكاة فلا يدفع عنها ضريبة أخرى.

ومقدار هذه الضريبة هو نصف عشر قيمة الأموال التجارية وهذا هو المأثور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث كان يأمر القائمين على جباية هذه الضريبة بأن يأخذوا هذا المقدار من الأموال التجارية على وجه الضريبة منها، وبهذا أخذ الحنفية والحنابلة والشافعية وغيرهم²³⁸.

المطلب الرابع: تجنب الأفعال المخالفة للمجتمع الإسلامي

على الذميين واجبات أخرى يلتزمون بها، فهي واجبات غير مالية، منها الامتناع عما فيه غشاضة على المسلمين أو انتقاص لدينهم مثل ذكر الله عز وجل أو كتابه أو رسوله أو دينه بسوء. لأن اظهار هذه الأفعال استخفاف بالمسلمين وطعن في دينهم، والذميون لم تعقد لهم الذمة للمجاهرة بهذه الأمور. وعليهم الامتناع عن اظهار بيع الخمر والخنازير في بين المسلمين وإن كان لهم ذلك في قراهم وأمصارهم. وعليهم الامتناع عن المعاملات الربوية فقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل نجران يمنعهم من الربا، والربا محرم في ديانتهم كما هو محرم في ديننا، قال الله تعالى (وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ)²³⁹.

المبحث الرابع: بعض الأحكام الفقهية للذميين

المطلب الأول: الحكم بين الذميين في مخاصماتهم

إذا تقدم أهل الذمة بشكواهم لأهل الإسلام، فإذا أن يتم التعامل معها على أساس الشريعة الإسلامية أو يجب رفض الحكم²⁴⁰ قال الله: {فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}²⁴¹

²³⁸. عاملة الأقليات غير المسلمة والاجانب في الشريعة الإسلامية: لدكتور عبد الكريم زيدان.

²³⁹. المصدر السابق.

²⁴⁰. ما بين نجمتين من "فقه السنة" (ج3/ص 446) بحذف.

²⁴¹. سورة المائدة: 42.

يقول ابن جرير أن هناك خلافاً في هذه الآية، وهناك تساؤلات حول هذه الآية، هل هذه الآية نُسِخت أم لا: هل ما زالت صالحة اليوم وهل لدى الحكام خيار في الرأي والقضاء بين الذميين إذا تقاضوا عندهم، كما وضعه للرسول ﷺ الآية هذه؟

يعتقد البعض أن هذه الآية لا تزال صالحة حتى اليوم وليست منسوخة، ويمكن تطبيقها في أي وقت.

ثم عد ابن جرير الطبري الذين قالوا ذلك، فقال: وقال بعض آخر: التخيير قد نسخ²⁴²، والحاكم عليه عند التقاضي للذميين أن يحكم بالحقبة لهم، ولا يجوز له عدم الرأي بينهم. وبعد ذلك ذكر الذين قالوا ذلك. ثم يقول وبرأي القول الأصح من بينهما هو قول الذين قالوا: يكون حكم الآية أدياً ثابتاً ولم يتم نسخها، وأن يختار الحكام بالحكم للذميين عند التقاضي أو عدم القيام بالحكم والرأي لهم، كما وضعه الله للرسول (صلى الله عليه وسلم) الآية هذه²⁴³.

والظاهر أن الأصل في هذا الحكم وجوب مراعاة التغيير، وهذا التغيير مبني على النفعية، والأصل أن الحكم مبني على الشرع، أما إذا كان القصد هو اللعب والمرح فالحاكم أفضل. لا تقبل وهذا الأمر مذكور في القرآن وسببه لأنهم يقولون { إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا } يعني: التحميم والجلد { فَخُذُوهُ } يعني: أقبلوا عليه، { وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا } يعني: احذروا من القبول والاتباع له { سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلْسُّحْتِ } (244).

ولعل نيتهم في الرجوع إلى المسلمين للحكم على مظالمهم خداع وتلاعب، وقصدهم عدم الحكم على أساس الإسلام، فقال الله: { فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً } (245).

²⁴² "سنن أبي داود": (باب الحكم بين أهل الذمة)، وجاء تحته نصان، الأول: عن ابن عباس رضي الله عنهما- قال: " { فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ } فنُسخت قال: { فَاحْكُم بَيْنَهُمْ } بما أنزل الله " أخرجه أبو داود (3590)، "صحيح سنن أبي داود" (3061).

والثاني: عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً- قال: "لما نزلت هذه الآية { فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ }، { وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ } الآية، قال: كان بنو النضير إذا قتلوا من بني قريظة، أدوا نصف الدية، وإذا قتل بنو قريظة من بني النضير، أدوا إليهم الدية كاملة، فسوى رسول الله ﷺ بينهم". أخرجه أبو داود (3591) وغيره، "صحيح سنن أبي داود" (3062).

²⁴³ انظر تنمة كلامه وتفصيله -إن شئت المزيد من الفائدة- في المصدر المذكور.

²⁴⁴ السُّحْت: الحرام وهو الرشوة.

²⁴⁵ سورة المائدة: 42.

المطلب الثالث: أنحكة الذميين

كل نكاح كان صحيحاً عند المسلمين لاستيفائه شروط الصحة جميعاً، فهو صحيح عند الذميين، هذا أمر مُجمَع عليه، لأن زواجهما مادام قد صدر صحيحاً في نظر الاسلام مستوفياً شروطه، لا معنى لفسخه من بعد، ولكن روي أن مالكا رضي الله عنه قال: إن أنكِحتهم فاسدة لأنها لا تخلو من فقد شرط الولاية، أو إسلام الشاهدين.

اختلف الفقهاء في حال زواجهما في عدة غير المسلم، فقد قال ابو حنيفة إن الزواج يكون صحيحاً بالنظر لهما ويقران عليه، وإذا أسلما لا يُفَرَّق بينهما، وحجته في ذلك أنهم لا يخاطبون بأحكام الشارع في الاسلام ما داموا غير مسلمين²⁴⁶.

المطلب الثالث: إسلام الزوجين أو أحدهما

إذا أسلم الزوجان، والنكاح صحيح في حكم الاسلام، بقيا على زواجهما، ولا يفرق بينهما، لأنه ليس ثمة ما يوجب التفريق، لأن الزواج يكون صحيحاً عند المسلمين.

وإذا أسلمت الزوجة وحدها، وفي الإمكان استئناف الحياة الزوجية بحكم العقد السابق، إذ لا سبب لإبطاله – عرض على الزوج الإسلام، فإن أسلم بقي الزواج كما هو، وإن لم يُسلم فُرقَ بينهما، إذ المسلمة لا تحل لغير المسلم، ويكون سبب الفرقة هو إباء الزوج الإسلام، وتستحق المرأة المهر إن كان قد دخل بها، ونصف المهر إن لم يكن دخل بها.

وقال الشافعي: إن كان إسلامها قبل الدخول فُرق بينهما بمجرد إسلامها، وإن كان بعد الدخول لا يُفَرَّق بينهما، إلا بعد انتهاء عدتها، فإن أسلم قبل انتهاء العدة بقيت الزوجية، كما إذا أسلما معاً، ووجهته أن التفريق في الحال إذا لم يدخل بها، لعدم تأكد النكاح بالدخول، أما في حالة الدخول فقد تأكد النكاح، فلا تتم الفرقة إلا بعد انتهاء العدة.

وإذا أسلم الزوج وزوجته كتابية بقي الزواج، لأن المسلم له أن يتزوج بالكتابية ابتداء.

وإذا أسلم الزوج وزوجته غير كتابية. عرض عليها الاسلام أو الدخول في دين كتابي، فإن فعلت بقي الزواج، وإلا فُرقَ بينهما²⁴⁷.

إثبات الزواج

²⁴⁶ الأحوال الشخصية، تأليف: الإمام محمد أبو زهرة، ص260.

²⁴⁷ الأحوال الشخصية، تأليف: الإمام محمد أبو زهرة، ص269.

المقرر في الفقه الحنفي أن الإثبات يكون بواحد من ثلاثة، هي:

أولاً: البينة: وهي أقوى الحجج، لأنها حجة متعددة، والثابت بها ثابت على الكافة، ولها شروط، ومن شروطها العدالة، ألا يكون الشاهد من أصول المشهود له أو فروعه، أو زوجته، أن يعاين المشهود به.

ثانياً: الإقرار: وهو حجة قاصرة على المقر لا تتعداه إلى من يتعدى إليه الحكم بالبينة، بل لا بد من إثبات جديد.

ثالثاً: النكول عن اليمين: وهو عند أبي حنيفة بذل، وعند الصاحبين إقرار، ولذا يقول أبو حنيفة: إن اليمين لا توجه في دعاوى الزواج لأن المدعى عليه إن نكل كان نكوله بذلاً، والبذل لا يجري في الزواج وأشباهه.

وأما عند الصاحبين، فإن اليمين توجه في الزواج، لأن النكول عندهما إقرار لا بذل²⁴⁸.

المطلب الرابع: إلقاء السلام على الذميين

ومن الأمور التي يسألها المسلمون ويسألون عنها: أنها مسألة تحية على أهل الكتاب. هل يجوز التحية عليهم أم لا؟

ذكر أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا تكونوا في تقديم السلام على اليهود والنصارى، وإذا واجهتم أحدا منهم في الطريق، فأجبروه إلى أشد ضيقه .

ذكر ابن القيم في زاد المعاد.

اختلفت الآراء حول تحية أهل الكتاب. يعتقد الكثيرون أن المسلم لا ينبغي أن يرحب أولاً. وقد قال البعض مثل ابن عباس، وابن إمام، وابن محيرز، والشافعية: إنه يجوز له التحية أولاً، كما يجوز له أن يجيب على أهل الكتاب. ولكن شرطهم أن يرضي المسلم بما قاله صلى الله عليه وسلم، ولا يرحمه.

وقالت جماعة مثل إبراهيم النخعي والقلمة: إنه ينبغي اعتبار أن المسلم يحتاج لأهل الكتاب، أو أن يضايقه، أو قد يكون بينه وبين أهل الكتاب تقارب. لذا، إذا اعتنق الإسلام أولاً، فلا مشكلة.

وقال الأوزاعي: إذا كنت سلمت، فسلم الصلحاء وإذا كنت تركت السلام فترك الصلحاء.

²⁴⁸ الأحوال الشخصية، تأليف: الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ص 272.

قال القلمة: كنا في رحلة مع عبد الله ومجموعة من النبلاء. سلكت المجموعة طريقاً مختلفاً عن طريقنا، وقد استقبلهم عبد الله، قلت لعبد الله: أليس مقرراً أن أسلم عليهم؟ قال عبد الله: السلام حق الصحابة.

يقول أبو بكر: ظاهر العبارة أن عبد الله استقبله أولاً لأنه لا يضر أحداً، وقال الرسول أيضاً: ((إذا سلموا عليكم، فقولوا: وعليكم)).

يقول عامش إنني سألت إبراهيم: أنا ذاهب إلى طبيب نصراني، فهل أحبيه؟ قال نعم لتحية لها عندما تحتاجها.

وخلاصة القول:

والراجح في المذاهب أنه لا يجوز الشروع بالسلام للذميين، لكنه ذكروا معظم العلماء بجواز ذلك.

يتبين مما قلناه أنه الأفضل للمسلمين ألا يسلموا على أهل الذمة أولاً، لكن هذا جائز.

• ذكر ابن عابدين في الحاشية ج 5 / ص 264 قول بعض العلماء أنه (لا مشكلة بدون تفصيل)، وقد ذكر في الخانية، ولو كان راجحاً كراهته، ولكن عندما بجاجة إليه.

المطلب الخامس: تهنيتهم بأعيادهم

ومن الأمور التي تهم أهل الذمة تهنيتهم بأعيادهم، سواء تهنئوا بهذه الأعياد أم لا، فالتهنئة بالسجود على الصليب والسجود على الصليب إثم عظيم، وهو أشد من التهنئة على الخمر، أو التهنئة بالقتل، أو الزنا، ونحو ذلك. إن الذين لا يهتمون بالدين ولا يعرفون بشاعة هذا العمل، في الواقع، بتهنئة هذه الأعياد، وارتكاب البدع والكفر، ويتعرضون لكرهية الله وغضبه. والعلماء المتدينون، إذا وصل الظالمون إلى المحافظة، إذا وصل الجاهل إلى منصب، يرفضون تهنيتهم على اجتنابهم غضب الله²⁴⁹.

المطلب السادس: تشييع جنازتهم، وزيارة قبورهم

كما أن الشافعية والحنفية، وفي الرواية أحمد، يعتبرون أيضاً جواز حضور جنازة من له الكتاب. وعلل هذا القول أن جابر يقتبس أيضاً عامر من قوله: ماتت أم حارث نصرانية، وحضر صحابة الرسول جنازتها²⁵⁰.

يقول البيهقي في الشعب أن منهل بن عيسى قال: أبلغني غلبان قطان أني قلت لحسن: عندنا جيران مسيحيون يحسنون لنا، والمرضى يزوروننا ويحضرون جنازاتنا وهم يفعلون. ماذا

²⁴⁹ أحكام أهل الذمة، ج 1 / ص 144 - 244.

²⁵⁰ مصنف ابن أبي شيبة، ج 3 / ص 32.

يجب ان نفعل حيالهم؟ قال: أحسن إليهم وأجرهم، مثلاً إذا تقدمت إليهم فقل لهم؟ من هناك؟ هل ادخل؟ وعندما تذهب إليه اسأله كيف حال صبورته، وتريد أن تنهض وتذهب وتقول: شفاك الله، ويرحك²⁵¹.

قال عطا بن صائب: سألت أم رجل من قبيلة الثقيف امرأة نصرانية بدف ابن بن مغل: أحب أن أحضر جنازة تلك المرأة ولا أتبعها. قال: ركبوا على أربع، واذهبوا أمام الجثة، في هذا السجن لم تتحركوا بها.

يعتقد بعض المالكية والحنابلة أنه لا ينبغي اتباع جثة أهل الذمة بالطبع إذا كان الصليب معهم.

الوقوف إذا مرّت به جنازة كتابي:

روى البخاري ومسلم حديثاً عن جابر قالاً: أخذوا جنازة يهودي عند قيام الرسول صلى الله عليه وسلم. نحن أيضاً نهضنا. فقلنا: يا محمد أهدأ جثة يهودية؟ أجاب(ص): الموت مخيف، فقم إذا رأيت جثة²⁵².

فقاموا وقيل لهم أن الجثة من الذمة فلماذا تنهض؟ قالوا: أخذ رسول الله جسد اليهودي عند قيام رسول الله. قيل له أن هذا جسد يهودي، فلماذا قمت؟ قال النبي: أليس له نفس؟²⁵³.

زيارة قبور أهل الكتاب وغيرهم:

يروى أبو حازم قول ابن هريرة أن النبي(صلى الله عليه وسلم) يقول: طلبت من الله أن يستغفر لأمي فلم يقبل، فطلبت منه الإذن بزيارتها فأذن لي²⁵⁴.

وفي شرح النووي على مسلم:²⁵⁵ إذا جاز زيارة أهل الذمة في حياتهم: جاز حجهم إلى القبر أيضاً، وإذا جاز لهم زيارتهم بعد الموت ورؤية قبرهم جاز لقاءهم في حياتهم. قال الله تعالى: (وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا)²⁵⁶.

²⁵¹ مصنف ابن أبي شيبة، 3/ ص32.

²⁵² مسلم، ج2/ ص660 - 661 رقم الحديث (960)، البخاري (3/ 179 رقم 1311).

²⁵³ مسلم (2/ 661 رقم 961)، البخاري (3/ 179 - 180 رقم 1312 و1313).

²⁵⁴ مسلم (976).

²⁵⁵ شرح النووي على مسلم، ج7/ ص45.

²⁵⁶ سورة لقمان: 15.

في هذه الآية: الاستغفار محرم على أهل الذمة، وقال القاضي عياض: إن سبب ذهاب النبي لزيارة قبور الموتى أن قصده هو رؤية القبور وإرشادها، وقال النبي في آخر الحديث: زيارة لتذكر الموت تؤكد هذا الهدف للنبي²⁵⁷.

يقول الله: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)²⁵⁸، بشرط عدم الترحم؛ لأنه لا يجوز؛ اعتماداً على الآية: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ)²⁵⁹.

في رواية أبي حنيفة، وعلى عقيدة الإمام الشافعي، ووفقاً لدين الإمام أحمد، يجوز استرضاء أهل الذمة والكفار، والتعزية بهم، ولكن بشرط ألا يكونوا محاربين، وفي هذه الحال يرجو الكافر أو الكفار. يجب أن يصبح أهل الذمة مسلمين ويهتموا بالإسلام.

الأدلة على جواز التعزية:

أولاً: ومن أسباب جواز التعزية على الكفار وأهل الذمة مقارنتها بزيارة مرضى أهل الذمة والكفار، فقد ذكر في رواية أنس: جلس الرسول (صلى الله عليه وسلم) على رأس العبد قائلاً له: أسلم. الغلام نظر إلى والديه، وقال والده له: اتبع أبا القاسم وأسلم.²⁶⁰ التشابه بين أسلوب زيارة المريض وتقديم التعازي هو إرضاء المريض أو الفقد.

ثانياً: إنه لأمر جيد أن تقدم التعازي لمن فقد شخصاً في قوله تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)²⁶¹.

ثالثاً: من يفترض أن يقدم التعازي لمن حزن وفقد شخصاً ما، فعليه أن يختار الكلمات المناسبة لإلهام الصبر والسلام فيه، وتذكير ذلك الشخص بأن الموت هو تقليد الله. فمثلاً قال له: جزاكم الله خيراً، أو جزاكم الله خيراً، أو يعوضكم عن بؤسكم، أو يرزقكم الله، وهكذا.

²⁵⁷ أخرجه أحمد (441/2)، رقم (9686)، ومسلم (671/2)، رقم (976).

²⁵⁸ سورة الممتحنة: 8.

²⁵⁹ سورة التوبة: 113.

²⁶⁰ - رواية البخاري (ج3/ص219 رقم 1356).

²⁶¹ - سورة الممتحنة: 8.

المطلب السابع: التهادي بين المسلمين وأهل الكتاب:

إن إعطاء المسلمين لأهل الكتاب وهدايا لأهل الكتاب جائز، وله أسباب كثيرة. يقول الله: (قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمِدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) ²⁶².

قالت أسماء بنت أبي بكر: قَدِمْتُ عَلَى والدتي المشركة، سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن والدتي قدمت لي هدية طوعا، فهل أقبلها؟ قال النبي: "أقبلِي" ²⁶³.

يقول أبي حميد السعدي: في سنة تبوك خرجنا مع رسول الله. قدم ملك الإيل البغلة للنبي. قبل النبي الهدية. وغطاه بثوب ²⁶⁴.

في الشريعة الإسلامية، يعتبر أهل الذمة أهل الإسلام. كان تنظيم الدولة الإسلامية على اتصال بالعثمانيين من خلال العلاقات القانونية والسياسية. منذ تشكيل الحكومة العثمانية، كانت سياستهم الرئيسية هي إدارة غير المسلمين. كانت سياستها الرئيسية هي إدارة الرعايا غير المسلمين في إطار مؤسسات الاختلاس والثقة في الشريعة الإسلامية. اتبعت الممارسة العثمانية مساراً مستقراً من حيث حرية الدين والضمير في إطار قانون الاختلاس. قبل العثمانيون ذلك كالتزام قانوني بمعاملة أهل الكتاب بتسامح في التقاليد الإسلامية.

والمبدأ الذي قامت عليه الدولة العثمانية هو آية أكرة في الدين، أي أن العثمانيين لم يتدخلوا في دين الناس ولم يضغطوا عليهم. يوضح أحمد جوديت باشا أنه بعد فتح اسطنبول، تم منح العديد من الامتيازات للكنائس والأديرة ولم يُسمح بالتدخل في دين الإسلام أو الضغط على المسلمين. كانوا متفقين تماماً مع دين الإسلام من حيث اللغة والدين وطقوس وعادات التحرر تماماً من فعلتي السلطان محمد الفاتح. وتقول مصادر تاريخية إن العثمانيين منعوا أهل الذمة من اعتناق الإسلام، وهذا غير صحيح.

كانت قوانين العثمانيين كاملة وسموا شرائع أهل الذمة "إعلان الأحفالي للكافيين". كانت هناك أيضاً قوانين خاصة ومنفصلة للذميين في الأماكن التي يعيشون فيها. هذه هي القواعد هذا هو

²⁶² سورة النمل: 33 - 37.

²⁶³ مسلم (2/ 696 رقم 1003)، البخاري (5/ 233 رقم 2620)، وانظر (3183، 5978، 5979).

²⁶⁴ المنتقى لابن الجارود: ج1/ص 279 ح 1109.

الحال مع "القانون المطبق على جزيرة كيفالونيا" و "Kanunnâme-i Ahvâl-i Zimmiyyân-ı Karaman" الصادر لغير المسلمين في جزيرة كيفالونيا. في القانون العام، يعتبر أهل الذمة منفصلين عن المسلمين.

ينص هذا القانون على أنه لا يجوز إجبار أحد على اعتناق الإسلام ولا يمكن تحويل أي كنيسة إلى مسجد أو مسجد إلى كنيسة. كانت سياسة محمد الفاتح أن الجميع يجب أن يكون أحراراً في معتقداته وأن كل دين يمكنه أداء شعائره الدينية وصلواته وطقوسه. من المفهوم أن الابتزاز المذكور في قانون العاصمة هو أحد العناصر الأساسية لمؤسسة الاختلاس. في المرسوم الذي أُعطي لبطريك القدس خلال فترة الفتح، تضمن الأمر الذي أُعطي للكهنة البوسنيين مرة أخرى تعبيرات عامة تؤمن حرية الدين والضمير.

لكن على الرغم من الحرية الدينية للدميين في الإمبراطورية العثمانية، كانت هناك قواعد لهم. لم يكن لدى أهل الذمة، على سبيل المثال، الحق في التعليق على الأمور التي سميت بالشعر وكانت من علامات الدين. لم يُسمح لهم بأداء الشعائر الدينية وقراءة الكتاب المقدس بصوت عالٍ. لم يُسمح لهم بقرع أجراسهم أو التحدث بصراحة عن دينهم. إذا اشترى النبيذ وباعوه علانية أو استخدموا الآلات الموسيقية في الأعراس. كانت هذه إهانة. ومن المحظورات صوت الأجراس التي كان المسيحيون ينادونها للمسيحيين.

لم يُسمح بتركيب الأجراس حول المسجد. لم يُسمح للزميس بالإقامة في محيط المسجد لدرجة تقلص مجتمع المساجد. في هذه الحالات، تم بيع منازل الزيمي القريبة من المسجد بقيمتها للمسلمين.

لم يُسمح للزميين بالجلوس حول قبورهم وشرب الخمر أو استخدام الآلات الموسيقية من حولهم. كما كانت قاعدة أنه لا يجب على أهل الذمة بناء منازل أعلى من المسلمين. ومن فتاوى أفندي أنه يعيش الذميون مع المسلمين لا يسكنون في بيوت شاهقة وفخمة، ولا يركبون الخيل في المدينة، ولا يرتدون ملابس باهظة الثمن. لم يكن لدى أهل الذمة الحق في امتلاك أسلحة أو أن يكون لهم عبد مسلم، ويجب ألا يشبه الذميون مثل المسلمين. ارتدى المسلمون عمام وأحذية مختلفة من أهل الذمة.

كان عدم تدخل الدولة العثمانية في المجال الديني مبنياً على الشريعة الإسلامية، وبالتالي فإن حرية غير المسلمين تستند إلى قوانين دينهم. وهذه الآية من القرآن تقول أن لا أكره في الدين هي في الحقيقة قاعدة أساسية في الإسلام، تدل على حرية الدين والشخصية، وقد اهتم العثمانيون

بهذا المبدأ. ما قلناه عن التسامح العثماني مع أهل الذمة يقوم على هذا المبدأ. أن العثمانيين منحوا العديد من الامتيازات للكنائس والأديرة ولم يسمحوا للإسلام بالتدخل في الأديان والمذاهب.

يقال أنهم يريدون تفريق أقوالهم وعاداتهم، وأن ممتلكات السلطان محمد الفاتح في هذه المحاولة تتفق مع الشريعة الإسلامية²⁶⁵.

المطلب الثامن: أحكام متفرقة حول أهل الذمة

إذا كان أهل الذمة يدفعون جزيتهم فلا بد من قبولهم، وحرّم قتالهم أو إهانتهم أو مضايقتهم.

عند أخذ الجزية نظهر لهم القوة والكبرياء، وبينما هو صغار نأخذها منهم.

3- نكرم الجميع حسب قدره لإنشاء الألفة في قلوبهم.

4- نحترمهم، كلٌ بحسبه، تأليفاً لقلوبهم.

5- ويجوز زيارتهم ولقائهم والرفق بهم والإحسان إليهم؛ لإنشاء الألفة في قلوبهم وتحفيزهم لقبول الإسلام.

6- لا يجوز جعل أهل الذمة في مقدمة المحافل والنهوض لهم ولا القول بالسلام لهم أولاً، وإذا سلموا يجب عليكم الإجابة بهم بقول: وعليكم.

7- ليست تهنئة أعياد الذميين جائز والحضور في احتفالاتهم غير جائز.

يقول الله: { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ }²⁶⁶.

وأيضاً: { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }²⁶⁷.

ذكر أبو هريرة أن النبي (ص) قال: لا تكونوا في تقديم السلام على اليهود والنصارى، وإذا واجهتم أحدا منهم في الطريق، فأجبروه إلى أشد ضيقه²⁶⁸.

وذكر أنس بن مالك أن النبي (ص) قال: يقول: إذا قام أهل الكتاب بالسلام عليكم قولوا: وعليكم.

²⁶⁵ M. MACİT KENANOĞLU (2013). ZİMMÎ. TDV İslâm Ansiklopedisi 44 CİLT. p438-440

²⁶⁶ سورة التوبة: 29.

²⁶⁷ سورة الممتحنة: 8.

²⁶⁸ أخرجه مسلم.

وذكر عبدالله بن عمر أنه أتوا اليهود للرسول (ص) برجل وامرأة ارتكبا الزنا، وأمر الرسول برجمهما بالقرب من المسجد²⁶⁹.

وذكر أنس: كان للرسول (ص) غلام يهودي يخدمه، ثم مرض. جاء الرسول □ عنده وجلس بالقرب من رأس الغلام قائلاً له: أسلم. نظر الغلام إلى والده الذي كان بجانبه وقال له: أجب دعوة الرسول. فلذلك أسلم الغلام. ثم ذهب الرسول (صلى الله عليه وسلم) قائلاً: الحمد لله الذي نجاه من عذاب النار²⁷⁰.



²⁶⁹ متفق عليه.

²⁷⁰ أخرجه البخاري.

الفصل الثالث: بعض الشبهات حول الذميين والرد عليها

المبحث الأول: دعوى انتشار الإسلام بالسيف

من الخطأ القول إن الإسلام انتشر بقوة السيف، فلو انتشره السيف لقبله عدد كبير من الناس في البداية خوفاً، لكننا نرى في البداية تحول إليه عدد قليل.

والسر في ذلك أن الضعفاء اعتنقوا الإسلام ولم يكتفوا بالابتعاد عن دينهم رغم أي اضطهاد وضغوط.

ونرى أكثر الأعمال إضحاً بالنفس لهذا الشخص التقى الذي يضحي بحياته وماله في سبيل الدين. الدين حق.

فقط العناد والكبرياء تسببوا في الابتعاد عن هذا الدين.

{ وَجَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ }⁽²⁷¹⁾، أو الجشع على الرئاسة والخوف من الوصمة والعيب من قائلهم، وقالهم:

وعرضت ديناً قد علمتُ بأنه --- من خير أديان البرية ديناً

لولا الملامة أو حذار مسبة --- لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

نشر الرسول الناس بالرحمة، فكان معه أكثر الناس مكروهاً، وأعزهم عنده. يقول الله: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} (272).

أتى عمر عند الرسول وكان ينوي قتله، لكن لم يمض وقت طويل حتى يؤمن ويصبح صديقاً ومساعداً للإسلام.

كان الرسول لطيفاً ورحيماً على الجميع حتى أعدائه، فغفر لهم تماماً وصفح عنهم، ولم يعاملهم بالقوة أو الإكراه، فمثلاً بعد فتح مكة قال: ماذا أفعل بكم؟ قالوا: أحسنوا إلينا وأحسنوا إلينا. الأخوة كريم وابن الأخوة كريم.. قال النبي: اذهبوا كلكم أحرار.

ولما رفع غرath بن مشر كيف سيفه على النبي ليقتله سأل النبي: ما يمنعني من قتلك؟ قال النبي: الله. فسقط السيف من أيديه وسيطر الرسول (صلى الله عليه وسلم) على غيرات فقال: ما يمنعها من قتلك؟ قال: أنت طيب. قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنا رسوله؟ فقال: أعدك أن لا أقاتلك

²⁷¹ سورة النمل: 14.

²⁷² سورة آل عمران: 159.

وأن لا أكون عوناً لمن يحاربوك. تركه النبي ليذهب عند قومه. ذهب قائلاً لقومه: جئت من خيراً للناس²⁷³.

ولم يغتنم الرسول ﷺ الفرصة لاضطراره على قبول الإسلام. فلم يجبره الرسول على قبول الإسلام. ومثال آخر هو رفض النبي لأعدائه، الذي لما أرسل سعد بن عبادَةَ بجيش من الأنصار أمرهم بعدم شن الحرب إلا إذا بدأ أحدهم حرباً. ولما صاح سعد أن أمرز هو يوم الملحمة والحرام، في هذا اليوم الشرعي أرسل الرسول رسولاً إلى سعد بن عبادَةَ، ففصله²⁷⁴

قال ابن أعمار: إذا رأى النبي قتيلة أو قتل طفلاً في معركة لم يعجبه ذلك، ونهى عن قتل النساء والأطفال²⁷⁵.

وشدد النبي (صلى الله عليه وسلم) على أن المسلمين لا ينبغي أن يبدأوا حرباً وأن يمتنعوا عن قتال من لا يقاتلهم⁽²⁷⁶⁾.

يذكر أنس: وإن نحذر ولكن ننزلق وراء المدينة ليأتي النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: "ابدؤوا بسم الله وتحاربون أعداء الله في سبيله، وإذا وقعت على عجز وطفل وامرأة فلا تقتلوه" ((277)).

لذلك، وبحسب الأمثلة التي قدمناها، يجب أن نقول إن الإسلام انتشر بسبب الحب والعقيدة الإسلامية، وإيمان الإسلام باحترام الإنسان. يعترف الإسلام باحتياجات الإنسان ولا يعارضها، والتعاليم الإسلامية مناسبة لأي زمان ومكان. اعتمد كثير من الناس على السيف في تلاوة الخطبة كعلامة على أن الدين قد حقق انتصاراته بالسيف. اعتقد الكثير من الجهلة أن هذا هو الحال بالفعل. فذكر ابن القيم أن هذا خطأ من وجهين: الأول: أن الصحيح أن النبي اعتمد على عصا أو قوس، وثانياً أن الإسلام دين الوحي وسيف لمحاربة الشرير والضلال. مدينة الرسول غزاها القرآن لا بحد السيف²⁷⁸.

²⁷³ انظر المستدرک على الصحيحين کتاب المغازی والسرايا رقم (4290)، ودلائل النبوة للبيهقي رقم (1272).

²⁷⁴ انظر صحيح البخاري کتاب المغازی رقم (3944)، السنن الكبرى للبيهقي 9: 121.

²⁷⁵ رواه مالك في کتاب الجهاد رقم الحديث 857.

²⁷⁶ رواه ابن أبي شيبة في المصنف 7: 654، وأبو داود في کتاب الجهاد برقم (2247) باختلاف يسير.

²⁷⁷ رواه مالك في کتاب الجهاد رقم (858).

²⁷⁸ زاد المعاد ج1: ص178.

أعطى الإسلام الحرية الكاملة لمعتقدات الناس ولم يجبر أحداً على الإسلام: لا أكرهه في الدين. قال والدهم للنبي: أليس لي أن أضايقهم لأنني مهما أصرت، فهم لا يعتنقون الإسلام؟ وأنزل الله آية لا أكرهه في الدين. (279).

قال الإمام النووي: الإسلام يدعم أهل الذمة ويؤوي اليهود والمسيحيين. بينما كان اليهود والمسيحيون يضطهدون ويقتلون بعضهم البعض، أقام الإسلام السلام والصداقة والسلام بينهم وأتاح لهم حرية الرأي: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } (280).

وأمر الله الرسول أن يحفظوا جانبهم من الغدر والخيانة في سلامهم وسلامهم. جاء في كلام الله: { وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (281).

يذكر الطبري إن اليهود والمسيحيين يمكنهم أن يصنعوا السلام مع المسلمين وينحيوا الحرب ثم يصبحوا مسلمين أو يدفعون الجزية، وهذا في الحقيقة أحد أسباب السلام (فَاجْنَحْ لَهَا). ويقول الله: إن شاءوا أعطهم ما يريدون (282).

دعا الرسول الناس إلى الإسلام في مكة لمدة ثلاثة عشر سنوات، وفعل ذلك بالوعظ والحكمة، ولم يقاتل أحداً خلال هذه الفترة، والمسلمون لم يضايقوا دين أحد.

هذا لا يعني أن الرسول لم يكن لديه القدرة على القتال أو أن الجهاد للدفاع فقط. لأن الله يقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ } (283).

يقول الطبري في هذا الصدد: قال الله لهم: يقول لهم: ابدأوا بقتال الأقرب فالأقرب إليكم داراً، دون الأبعد فالأبعد.

كان الرومان هم من أساء إلى هذه الآية. كانوا يعيشون في سوريا وكانت سوريا أقرب مدينة للعراق.

لكن بعد أن فتح الله البلاد من أجل المؤمنين، فإن هذا واجب الناس من جميع الجهات: محاربة الأعداء الذين يحمونهم دون أبعد مسافة منهم، إلا إذا كان الناس على الجانب الآخر من الدولة الإسلامية مدينين بذلك لهم (284).

²⁷⁹ رواه الطبري في تفسيره رقم (5817).

²⁸⁰ المجموع ج 14: ص 285.

²⁸¹ سورة الأنفال: 61.

²⁸² تفسير الطبري 14: 40.

²⁸³ سورة التوبة: 123.

المبحث الثاني: دعوى وجود العنف والإرهاب في الإسلام

ولاشك أن موضوع التطرف والعنف في البلاد بأشكال ومظاهر مختلفة موضوع مرضي يعبر عن عدم التقدير والاختلاف في الإدراك والسلوك. وهذا من أوجه اجتناب الاعتدال، وهذه سمة واضحة سماها الله هذه الأمة في كلامه {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} 285 ، والاعتدال هو ما يؤهل هذه الأمة للشهادة للشعب وإقامة العدل والإنصاف بينهم.

وجهة نظر القرآن والسنة حول مسائل الإرهاب والتطرف والعنف. إن شاء الله سنسعى في البحث هذا أن نوضح بوضوح هذه المصطلحات ثم نحدد مكانة القرآن وتوافقها التام مع جميع حالات الغريزة الإنسانية هو الميل إلى أي نوع من العنف والتطرف وتطهير الآخرين.

مصطلح "الإرهاب" في تطبيقه هو خطاب تسويقي غربي للمفهوم، وهو مصطلح غامض لا يوجد اتفاق على معنى معين له، بحيث يوجد مثال دوري يقول: إرهابي لمجموعة من الناس لجماعة آخر هو مقاتل للحرية.

وكما ذكرنا آنفاً ورد كلمة الإرهاب في القرآن الكريم. فكلمات المقاومة والصراع والردع كلها تدل على دفاع عن النفس أو إلى الوطن، وهذا مشروع في جميع القوانين والأنظمة، ولكن إذا انحرف الموضوع عن المقاومة وأصبح عدوانياً فله معنى. حسب نوع الاغتيال، يكون القتل أو الحرب مستهجن.

إن كلمة الإرهاب وردت في القرآن بمعانٍ مختلفة ولا علاقة لها بمفهومها الغربي: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} (286). فلو تفحصنا مفهوم الإرهاب في الآية بتمعن نجد أن الغرض منه هو معنى الردع {تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ} وهي تعني العدوان الذي يخيفه بالحرب ويمنعه من ارتكاب أعمال عنف قد تدفعك إلى مواجهة العنف.

يعتبر هذا من أنواع الدفاع عن النفس والدين أو المقاومة القبلية بتجنب الحاجة إلى الرد على العنف بمقاومة العنف لأنه رد طبيعي وتلقائي وقانوني على العنف الذي يتم إنشاؤه وموجهه ضد المسلمين.

²⁸⁴. تفسير الطبري، ج 14: ص574.

²⁸⁵. سورة البقرة: 143.

²⁸⁶. سورة الأنفال، الآية: 60.

واليوم هناك من يعتبر الإرهاب الحاضر في كلام الله في الآية: { تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ } وهذا بلاشك وهم من الاقتراب الصحيح: طريقة فهم الآية في نصها الصحيح. تُزال الآية من سياقها المنهجي وتُستشهد لتبرير الإرهاب اللاأخلاقي على أساس ما يدعو إليه القرآن الكريم بالعنف والإرهاب.

جاء في القواميس عن معاني الإرهاب في مفهومه الإسلامي والعربي بأنه يعني تخويف الآخر.

إن لفظة إرهاب مشتقة من فعل (أرهب). قيل أرهب فلاناً يعني قام بتخويفه، كما يدل فعل (رهب) على هذا المعنى. ولكن فعل (رهب، يرهب رهبة ورهبا) أي: خاف. قيل: رهب الشيء يعني خافه. ولكن فعل (تَرَهَّبَ) يعني انقطع للعبادة في الصومعة، والراهب والرهبانية مشتقة منها.... ويستخدم أيضا فعل (تَرَهَّبَ) في معنى توعد وقيل: تَرَهَّبَ فلاناً: يعني توعدّه. وأيضاً تستخدم صيغة (استفعل) في العربية ويقال: (استرهب فلاناً) يعني: رهبه²⁸⁷.

ويجدر بالذكر أن القرآن لم يستخدم كلمة الإرهاب بهذه الصيغة ويستخدم صيغا بأشتقاقات مختلفة من نفس المادة اللغوية بعضها الدال على الإرهاب والفرع والخوف، والآخر يشير إلى الرهبة والتعبد.

وهكذا وردت مشتقات المادة (رهب) سبع مرات في مواضع مختلفة في الذكر الحكيم لتدل على معنى الخوف والفرع كما يأتي:

يرهبون: (288).

فارهبون: (289).

(290).

ترهبون: (291).

استرهبوهم: (292).

²⁸⁷ لسان العرب لابن منظور الجزء الثالث، مادة (رهب).

²⁸⁸ سورة الأعراف، 154.

²⁸⁹ سورة البقرة، 40.

²⁹⁰ سورة النحل، الآية: 51.

²⁹¹ سورة الأنفال، الآية: 60.

²⁹² سورة الأعراف، الآية: 116.

رهبة: (293).

رهبا: (294).

ووردت مشتقات المادة نفسها (رهب) خمس مرات في مواضع مختلفة لتدل على الرهينة والتعبد (رهبان- رهبانهم - رهبانية). بينما لم ترد مشتقات مادة (رهب) كثيرا في الحديث النبوي. ولعل أشهر ما ورد هو لفظ (رهبة) في بعض الأحاديث النبوية منها حديث الدعاء (وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك)²⁹⁵.

كما يذكر أن القرآن الكريم وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم يحتويان على مفاهيم تشمل معاني ومفاهيم الإرهاب والعنف، أي استخدام القوة أو التهديد لتحقيق أهداف محددة، ومن أهمها القتل والقمع والحرب. والاعتصاب

في الحرب، استخدم الرسول بذكاء مفهوم "الإرهاب" حسب المعنى القرآني السابق للردع. ثم سأل أبو سفيان عن كل كتيبة فقال: هؤلاء هم أبناء فلان فيقول: ما هو ابني فلان فلان، فهذه المسرحية أثرت بشكل رهيب على معنويات أبي سفيان وأثنته عن بدء الحرب. فيقول: يا قريش، هذا محمد جاءك بشيء لم تقبله. لذلك تم فتح مكة بسلام ولم يفقد أحد. وهكذا تمت الاستعدادات التي أدت إلى الإرهاب، أي الردع. ردع أدى إلى قطع الكفار عن المسلمين وعدم بدء الحرب

قال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ }²⁹⁶.

انتهى فتح مكة باستخدام مفهوم الحضارة السلمي للنبي صلى الله عليه وسلم عندما قال لقريش: اذهب يا أيها المتحررين. { وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ }.

العنف: العنف مفهوم سلبي يهدف إلى المطالبة بالسلطة وإجبار الآخر على تركها أو الموافقة عليها من خلال معاناة استخدامها. هذا الأسلوب تم رفضه في الأديان والقيم البشرية والحضارية، لأنه يغير القوة المادية والفكرية والروحية والمعنوية من الطاقة التي يحتاجها الإنسان لبناء نفسه ومجتمعاته وحضاراته إلى طاقة مدمرة وسلبية.

²⁹³ سورة الحشر: 13.

²⁹⁴ سورة الأنبياء: 90.

²⁹⁵ رواه البخاري في كتاب التوحيد وكتاب الدعوات، ورواه أحمد في مسنده 4 / 285.

²⁹⁶ سورة الفتح، 24.

العنف المشروع هو استخدام القوة لانتزاع أو إنفاذ الحقوق بطريقة تؤدي إلى الظلم وعدم المساواة، مثل المقاومة ضد الاستعمار واستخدام القوة للإطاحة بالمحتل واستعادة الأرض والسيادة أو استخدام العنف لمنع الظلم. التنشئة الاجتماعية ووقف الممارسات التي تؤثر على الناس إذا لم تتحقق الحقوق سلمياً. هذا المشروع - الذي نهتم به - هو استخدام أي قوة لمطالبة حق مطالب به والاحتفاظ به أو لانتزاع أي حق يمكن انتزاعه دون استخدام العنف²⁹⁷.

أول حدث العنف في التاريخ كما سجلها القرآن، وأدت إلى تدمير الروح القدس للإنسان، كان قتل قابيل أحد أبناء آدم عليه السلام لأخيه هابيل. واقتبس القرآن الحادثة هذه في مواضع مختلفة لإظهار أهمية هذه الحادثة في فهم موضوع العنف. تدهورت حالة قابيل نفسياً بعدما التجأ إلى العنف ضد أخيه. يقول الله: { فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ } { مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا }²⁹⁸.

وفي هذا الصدد، يتحدث القرآن الكريم عن العنف الذي استخدمه سلباً ويدينه بشدة، وعواقبه الوخيمة، بما في ذلك إزهاق الأرواح، أو إلحاق الأذى بالناس، أو الفساد في الأرض. يتكلم وإذا لم يرد مصطلح العنف في القرآن، ولكن بعض أحاديث الرسول تذكر المصطلح، مما يدعو إلى تركه والحذر منه. جاء في الحديث: "لم يرسلني الله معنفاً"²⁹⁹. وجاء أيضاً: "يمنح الله على الرفق ما لا يمنح على العنف"³⁰⁰.

البخاري كتابه الصحيح من قول عائشة "قصة اليهود لما قالوا: السلام عليكم وردت باللعة عليهم، وقال النبي لها: على مهل يا عائشة، يجب عليك بالرحمة واحذر من العنف والفحش³⁰¹. النهي عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق

ومن الشرائع القرآنية والنبوية المبنية على عدم استخدام العنف ضد الآخرين وتقوية الأخوة بين المسلمين وتعايشهم مع بعضهم البعض ومع الآخرين أنه حرم المسلمين من التعدي على أرواح الآخرين بالقتل أو سفك الدماء مثلاً.

²⁹⁷ عبد الإله بلقزيز: العنف والديمقراطية، منشورات الزمن (ماي 1999م)، ص 26.

²⁹⁸ سورة المائدة: 31-32.

²⁹⁹ رواه الإمام أحمد في مسنده، ج 3 / ص 328.

³⁰⁰ رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر، والإمام أحمد في مسنده، ج 1 / ص 112.

³⁰¹ رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي فاحشاً ولا متفاحشاً.

الإسلام يدعم الإنسانية في جميع الأديان والجنسيات والأعراق، إلا في حالات الاغتصاب التي تعتبر قتل الإنسان مساوية لقتل البشرية جمعاء. يقول الله: { مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا }³⁰². الإسلام يحمي الإنسان من العنف والعدوان الذي يؤدي إلى القتل. وتتم هذه الحماية من خلال الأحكام وتشريعات والحالات التي تم تحديدها بخصوص القصاص. قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ }³⁰³.

الطريقة الوحيدة للانتقام هي من خلال الشروط القانونية الصارمة، والتي تشمل حقوق المجتمع والفرد وتحميهم من خطر القتل وسفك الدماء لقد وصل تحريم الإسلام للعنف إلى تحريم ترهيب المسلمين والمؤمنين، وجعله يشعر بالقلق على روحه في منزله. قال الرسول(صلى الله عليه وسلم): "من ساعد لقتل مؤمن ولو بكلمة، يلاقي الرب يائسا من رحمته"³⁰⁴. وفي الحديث الأخير: "إني أشير إلى الأخ الذي لعن بشدة من قبل الملائكة". فقتل المؤمن بكلمة أو بلفتة من الذنوب الكبرى. وقال الرسول(صلى الله عليه وسلم) أيضا: "لا يجوز للمسلم أن يخوف مسلما"³⁰⁵. وذكر في رواية أخرى: "من ألمح بأخيه بغضب، يلعنه الملائكة"³⁰⁶.

المبحث الثالث: مسألة كبت الحريات وهضم الحقوق

نحن بحاجة هذه الأيام إلى معرفة مفهوم الحرية عند الإسلام ومكانتها في النظام الإسلامي. يجب علينا أيضًا إلى فهم الفرق بين الحرية والمسؤولية وما إذا كانت الحرية الشخصية تدعوه إلى إذلال الآخر

الأسئلة الموجهة لمسلم اليوم تحتاج إلى إجابات واضحة. يجب الكشف عن التراث الإسلامي بالإجابة على هذه الأسئلة بشكل صحيح. للأسف، يعتقد بعض أعداء الإسلام أن الإسلام لا يحترم الحريات، فهذه مأخوذة من مصادر لا تظهر الدين الصحيح وليست مصدر الوضوح الذي جاء به الرسول. هذه المصادر لا تعكس حقيقة الحرية التي كانت موجودة في عهد الرشدي

ما هي الحرية؟

³⁰² سورة المائدة: 32.

³⁰³ سورة البقرة: 178.

³⁰⁴ رواية ابن ماجه، السنن، كتاب الديات.

³⁰⁵ رواية أبي داود، السنن، كتاب الأدب – رواية أحمد، المسند ج 5 / ص 362.

³⁰⁶ رواية مسلم، الصحيح، كتاب البر – رواية أحمد، المسند ج 2 / ص 256.

الحرية: هي مضادة للعبودية. والحر: مضاد للعبد. وتحرير الرقبة: يعني إطلاقها من العبودية.

فالحرية: تعني الإباحة التي تؤدي إلى أن الشخص يفعل عبر الإرادة، في أي نطاق من نطاقات الفعل، وبأي صورة من صور التعبير.

وفي المفهوم القرآني، بمعنى المقابل بين الحر والعبد: { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى }³⁰⁷.

ومن الأقول التي نقلت في الإسلام حول هذا المفهوم هي قول عمر بن الخطاب: "لماذا استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟"³⁰⁸

المفهوم الإسلامي للحرية:

إذا قارنا مفهوم الحرية في الثقافة الإسلامية بثقافة الغرب وبعض الحضارات الشرقية القديمة، فسندرى اختلافاتهم الأساسية:

1- الحرية من وجهة النظر الإسلامية ضرورة إنسانية وواجب إلهي، وهي واجب ديني. الحرية ليست مجرد حق يمكن أن يتخلى عنه الإنسان متى شاء³⁰⁹.

الحرية هي بداية الحياة ونهايتها. إنها إحدى أولوياتها المهمة. العبودية مثل الموت والحرية مثل الحياة. وفي الواقع، عندما يُطلق سراح شخص ما، فهذا يعني أنه ينجو من موت العقوبة ويدخل في حياة العقوبة. وهذا وضع عتق الرقبة -أي إحياءها- ككفارة للقتل غير العمد الذي أخرج به القاتل نفساً من نطاق الأحياء إلى زمرة الأموات، فيجب عليه دفع كفارة بدلاً منه، أن يعيد الحياة إلى العبد من خلال التحرير: { وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ }⁽³¹⁰⁾.

وبتعبير واحد من معظم مفسري القرآن، الإمام النسفي (719هـ): عندما يقتل القاتل إنساناً، فإنه ينزع حياة المؤمن من الأحياء، فينبغي أن يدخل مثله في الأحرار، لأن تحريره من العبودية مثل إحيائه. من بين القتلى حكم. جاء في آية سورة أنعام: { أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ }³¹¹.

³⁰⁷ سورة البقرة: 178.

³⁰⁸ - تاريخ عمر، لابن الجوزي (ص129-130)، فتوح مصر، ابن الحكم (ص195).

³⁰⁹ المفهوم الإسلامي للحرية، د. محمد عمار، مجلة الأزهر ذوالقعدة 1433 هـ، أكتوبر 2012م الجزء "11" السنة "85".

³¹⁰ سورة النساء: 92.

³¹¹ النسفي (مدارج التنزيل وحقائق التأويل) ط1 ص189. طبعة القاهرة 1344 هـ.

2- نظرة الإسلام للحرية ومعارضته للعبودية والرق ليست فكرية بالكامل. الحرية تجربة إصلاحية وثورية تحرض المجتمع على إحداث تغيير جذري، وهذا ما يهتم الإسلام، وليس "الردة" التي حدثت أثناء الاستعباد في عصور لاحقة من التاريخ³¹².

ظهر الإسلام ونظام الرق في شبه الجزيرة وحولها. كان الرق منتشرًا جدًا في ذلك الوقت وكان أحد أعمدة النظام الاقتصادي والاجتماعي في ذلك الوقت وكان شائعًا في جميع الحضارات وكان يُعتبر عبدًا للعملة الدولية في اقتصاد ذلك الوقت.

عندما يظهر الإسلام انتشر الرق في شبه الجزيرة وحولها. كان الرق منتشرًا جدًا في ذلك الوقت وكان أحد أعمدة النظام الاقتصادي والاجتماعي في ذلك الوقت وكان شائعًا في جميع الحضارات وكان يُعتبر عبدًا للعملة الدولية في اقتصاد ذلك الوقت كانت شدة نظام العبودية في ذلك الوقت شديدة لدرجة أن الإمبراطور الروماني والإمبراطور الفارسي اعتبروا الشعب مستعمرة وعبدًا لهم. جاء الإسلام ووقف ضد كل عبودية وحرر العبيد بملكية الإسلام العامة وصدقات وزكاة المسلمين. وكفر الإسلام عن حرية هؤلاء العبيد وجعل العبد وصاحبها متساويين، ودعاهم جميعًا إلى السلوك الصالح والصالح تجاه بعضهم البعض.

مع ظهور الإسلام، أصبحت العبودية عبئًا اقتصاديًا لأن من أراد ذلك انسحب منها. أوقف الإسلام العبودية وتبادل أسرى الحرب بأسرى مسلمين بدلاً من أسرى كانداغ. يقول الله: { فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَاِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا }³¹³.

3- يربط الإسلام بشكل مطلق مفهوم الحرية بمفهوم الإنسان ولا يعتبرها للرجل المسلم فقط. في الإسلام، الدين هو أئمن وأول ما يميز الإنسان عن غيره، والحرية التي يمنحها الإسلام للعقيدة البشرية تدل على شرف الحرية وقديستها. فالإنسان، كافرًا كان أم مؤمنًا، حر، وإن كان الكفر اختياره: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ }³¹⁴.

{ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِي فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ }³¹⁵.

³¹² المفهوم الإسلامي للحرية: د. محمد عمارة، مجلة الأزهر ذوالقعدة 1433 هـ، أكتوبر 2012م الجزء "11" السنة "85".

³¹³ سورة محمد: 4.

³¹⁴ سورة البقرة: 256.

³¹⁵ سورة هود: 28.

{ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ }³¹⁶.

قصد الله الإرشاد والإيمان. وإلى جانب هذه الإرادة الإلهية، فإنه يمنح الإنسان السلطة والإرادة لاتخاذ خياراته الخاصة. وهكذا استطاع الإسلام أن يرسخ الحرية وينتصر في كل المجالات.

4- النظرية الإسلامية تحرر الإنسان من أي مكروه، ومبدأ الإسلام أن لاإله إلاالله وهذه شهادة توحيد الله. إن الشهادة لوحداية الله هي في الواقع تمرد ضد كل عبادة الأصنام والعبودية. الإسلام والتوحيد يحرران الإنسان وينقذه من كل لون وثنية وخضوع يقضي على إرادة الإنسان وحرية وسلطته.

بل عندما يدعو الإسلام الناس إلى الاستحواذ على الاقتصاد والاستيلاء عليه - من خلال صقل رغبات وغرائز الملكية - والوقوف معه على الحدود (الاستخارة) و"الانتفاع"، وليس "الملكية" و"الاحتكار".. الإسلام وبذلك يكون قد حقق إنجازاً عظيماً في تحرير الإنسان وتحريره من العبودية إلى الأشياء التي يعتقد أنها تخصهم، مع الانتماء إلى الله تعالى

5- للإسلام عقيدة واضحة حول "نطاق" حرية الإنسان و"أفقها" و"حدودها". الإنسان في العمارة هو خليفة الله - الحمد لله - فحرية تكون حرية الخليفة، ولا تكون حرية سيد هذا الكائن.

الحقيقة سخرت من ظواهر الطبيعة وقوتها بالنسبة للإنسان. لتحريره من العبودية، لأنه أقام أخوة فيما بين الإنسان والطبيعة - الخلق - لخلط حرية الإنسان بهذا الاستغلال المتبادل، لأنه أخ الطبيعة بين قوتهم وقوتهم المتبادلة، والاستغلال، الذي هو أشبه بالتعاطف، فكل تبعية تُسند إلى التبعية الأخرى التي تحرر حرية الإنسان.

6- الموقف الإسلامي للحرية يقوم على هذا: قيمة ومكانة الحرية في العمل والتطبيق، لأنه يحرر الإنسان من قيود الجهل والظلم والظلام، بإصلاح هذه الصيغة الإسلامية التي حررت طاقاته وقدراته، حتى صار "العالم الأكبر" حتى لو كان - مادياً - "جريمة صغيرة". و"الجيل القرآني عديم النظير" الذي خلقه رسول الله(ص) نشأ عنده في دار الأرقم على يد ابن أبي الأرقم الذي كان أول مؤسسة للصناعات الثقيلة تأسست. من قبل الإسلام لإصلاح هذا الرجل، والإسلام خُلق من أجل الحرية. التعليم "قبل" السياسة و"الأمة" قبل "الحكومة"

³¹⁶ سورة يونس: 99.

الخاتمة والنتائج

في النهاية توصلت إلى استنتاج أنه يمكنني تلخيص ما يلي:

- 1- أهل الذمة من أهل الكتاب (يهود ونصارى) ومن يسير على طريقهم مثل المجوس في الدولة الإسلامية الذين يقطعون لهم عهدًا يؤمنون بمالهم وشرفهم ودينهم
- 2- الحكمة في شرعية عقد الذمة أن المحارب يترك الحرب مع إمكانية دخوله الإسلام من خلال التواصل مع المسلمين ومعرفة الشريعة الإسلامية، والغرض من عقد الذمة ليس جمع المال.
- 3 - للكافر الرئيسي ستة أحكام في دمه جائز أم لا، ويختلف حاله بينها على النحو التالي: محارب، ضعيف، مؤسسة، ذمي، مؤمن، كافر لا مانع له.
- 4- لهم حقوق وضمانات في الدول الإسلامية، نوثقها بشهادة التاريخ ونصوص الفقهاء ورجال الدين وورثة الرسول، ومن بين هذه الضمانات: ضمان حرية العقيدة، وحرية ممارسة العبادة، وضمان سلامة أعضائهم. دورهم، حسن المعاملة، السلوك العادل، العدل في سلوكهم، القضاء على الظلم، التضامن الاجتماعي.
- 5- تسري أحكام الإسلام على الذكر من ناحيتين: الجانب الأول: المعاملات المالية، فلا يجوز لهم التصرف بما لا يتفق مع تعاليم الإسلام. مثل الربا وغيره من العقود المحرمة. الناحية الثانية تُحدّد العقوبات وتُلغى وتُفرض عليها العقوبات متى فعلت ذلك:
- 6- لأهل الذمة أحكام كثيرة ثابتة بالقرآن والسنة فمنها:
أ. إذا كان أهل الذمة يحترمونهم فلا بد من قبولهم والقتال معهم أو إهانتهم أو التحرش بهم.
ب- نظهر لهم القوة والفخر عندما نتلقى الجزية، ونستلم منهم عندما يكونون صغارًا.
ت- نحترمهم، كل على حد قوله. يؤلف قلوبهم.
ث- زيارتهم وإراحتهم وإحسانهم. الطغيان من قلوبهم والجشع لإسلامهم.
ج- لا يجوز طرد أهل الذمة من التجمعات والوقوف ضدهم والصلح.
ح- لا يجوز تهنة أهل الذمة أو حضور الحفلات في الأعياد.
ز- تنفيذ أحكام الإسلام المتعلقة بهم في المعاملات الإجرامية والعقوبات

7- يجوز عمل اللطف والحماية والاجتماع والسلام (الذمي ومصلح).

8- القول بأن العزاء للنصارى أو الكفار مباح عامة: رواية أبي حنيفة، وهذا قول الإمام الشافعي وقول في تعاليم الإمام أحمد وغيره، ما لم يكونوا محاربين، خاصة إذا كان هذا هو أمل الإسلام. إنهم يشكلون قلبهم أو يصدون إصابتهم.

9- أعطى الإسلام الحرية الكاملة لمعتقدات الناس، ولم يجبر أحداً على قبول الدين. يقول الله تعالى: (لا إكراه في الدين).

10- وقد تعددت الآيات والروايات التي حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من المبالغة في العبادة أو المبالغة في تصرفاته، وتحريم الإفراط في تنفيذ الأحكام أو الخروج عن حدودها.

11- اتفق الفقهاء المسلمون على أن الجهاد بالمعنى الشرعي والاصطلاحي هو فقط ضد الكفار الذين لا تربطهم معاهدات مع المسلمين ولا يعيشون بين المسلمين ذوي القرابة الذمية.

12- دار الاسلام : هو الدار التي تجري عليها أحكام الإسلام ويأمن من فيها بأمان المسلمين سواء أكانوا مسلمين أو ذميين أو أهل الكتاب و دار الحرب : الدار التي لا سلطان للإسلام عليها ولا نفوذ لأحكامه فيها بقوة الإسلام و منعه .

13- على الذميين واجبات يلتزمون بها وهي الجزية والخراج والعشور كما ان عليهم واجبات اخرى غير مالية منها الامتناع عن انتقاص المسلمين او ذكر الله عزوجل أو كتابه أو رسوله بسوء و الامتناع عن بيع الخمر والخنازير بين المسلمين .

فهرس المصادر والمراجع

بعد قرآن الكريم:

ابن أبي شيبة، أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة. **مسند ابن أبي شيبة**. تحقيق. عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزيدي. عدد الأجزاء 2. الرياض: دار الوطن، سنة النشر 1997م.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. **صفة الصفوة**. المحقق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: 1421هـ/2000م، عدد الأجزاء: 2.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي. **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**. تحقيق شعيب الأرنؤوط، الناشر مؤسسة الرسالة، سنة النشر 1414 - 1993، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 18.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عدد الأجزاء: 13.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري. **الإحكام في أصول الأحكام**. الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، عدد الأجزاء: 8.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري. **المحلى بالآثار**. الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: 12.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي. **مقدمة ابن خلدون**. الناشر دار القلم، سنة النشر 1984، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 1.

ابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني المعروف بابن زنجويه. **الأموال لابن زنجويه**. تحقيق الدكتور: شاكِر ذيب فياض الأستاذ المساعد - بجامعة الملك سعود، مركز الملك فيصل، للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م، عدد الأجزاء: 1.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد. **الطبقات الكبرى**. المحقق: زياد محمد منصور، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الثانية، 1408، عدد الأجزاء: 1.

ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي. **رد المحتار على الدر المختار**. الناشر: دار الفكر-بيروت، الطبعة: الثانية، 1412هـ - 1992م، عدد الأجزاء:

6.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر. **تاريخ دمشق**. المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: 1415 هـ - 1995 م، عدد الأجزاء: 80 (74 و 6 مجلدات فهارس).

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. **زاد المعاد في هدي خير العباد**. الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، 1415 هـ / 1994 م، عدد الأجزاء: 5.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. **أحكام أهل الذمة**. المحقق: يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري، الناشر: رمادى للنشر - الدمام، الطبعة: الأولى، 1418 - 1997، عدد الأجزاء: 3.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء. **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق، الناشر دار الفكر، سنة النشر 1401، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 4.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء **البداية والنهاية**. الناشر مكتبة المعارف، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 14*7.

ابن منظور. **لسان العرب**. الجزء الثالث، مادة (رهب)

أبو حبيب سعدي. **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا**. دار الفكر. دمشق - سورية، الثانية 1408 هـ = 1988 م. / 138.

أبو داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي. **سنن أبي داود**. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر دار الفكر، عدد الأجزاء 4*2.

أبو عبيد القاسم بن سلام. **كتاب الأموال**. تحقيق خليل محمد هراس. ، الناشر دار الفكر. ، سنة النشر 1408 هـ - 1988 م. ، مكان النشر بيروت. ، عدد الأجزاء 1.

أبو محمد عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري المجاور بمكة. **المنتقى من السنن المسندة**. المحقق: عبد الله عمر البارودي، الناشر: مؤسسة الكتاب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 - 1988، عدد الأجزاء: 1.

أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**. الناشر دار الكتاب العربي، سنة النشر 1405، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 10.

أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبة الأنصاري. **الخراج**. المكتبة الأزهرية للتراث، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، طبعة جديدة مضبوطة - محققة ومفهرسة، أصح الطباعات وأكثرها شمولاً، عدد الأجزاء : 1.

أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي. **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل**. تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، الناشر دار الفكر، سنة النشر 1995، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 70.

أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. الناشر مؤسسة قرطبة، مكان النشر مصر، عدد الأجزاء 6.

أحمد مختار عبد الحميد عمر. **معجم اللغة العربية المعاصرة**. عالم الكتب، الأولى، 1429 هـ - 2008 م، عدد الأجزاء: 4.

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني. **تمام المنة في التعليق على فقه السنة**. الناشر: دار الراية، الطبعة: الخامسة، عدد الأجزاء: 1.

الألباني، محمد ناصر الدين الألباني. **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**. إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية 1405 هـ - 1985 م، عدد الأجزاء: 9 (8 ومجلد للفهارس).

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي. **الأدب المفرد**. الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثالثة، 1409 - 1989، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقى، عدد الأجزاء: 1.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري. **فتوح البلدان**. تحقيق رضوان محمد رضوان، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر 1403، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 1.

البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي. **كشاف القناع عن متن الإقناع**. تحقيق هلال مصيلحي مصطفى هلال، الناشر دار الفكر، سنة النشر 1402، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 6.

البوطي، محمد سعيد رمضان البوطي. **الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه**. دار الفكر، دمشق.

البیهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البیهقي. **سنن الكبرى**. تحقيق محمد عبد القادر عطا، الناشر مكتبة دار الباز، سنة النشر 1414 - 1994، مكان النشر مكة المكرمة، عدد الأجزاء 10.

البیهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، أبو بكر البیهقي. **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1405 هـ، عدد الأجزاء: 7.

البیهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، أبو بكر البیهقي. **السنن الكبرى**. المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م.

الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي. **الجامع الصحيح سنن الترمذي**. تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر دار إحياء التراث العربي، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 5.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني. **كتاب التعريفات**. تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الأولى 1403 هـ - 1983 م/١٠٧.

- الحاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري. **المستدرك على الصحيحين**. تحقيق مصطفى عبد القادر عطاء، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر 1411 هـ - 1990م، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 4.
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**. لبارتولد خلاّف، عبد الوهاب. **السياسة الشرعية**.
- الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي. **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير**. الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: 4.
- زيدان، عبدالكريم. **أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام**. مكتبة القدس ومؤسسة الرسالة.
- زيدان، عبدالكريم. **معاملة الأقليات غير المسلمة والاجانب في الشريعة الإسلامية**.
- السرخسي، إملاء محمد بن أحمد السرخسي. **شرح السير الكبير**. تحقيق : محمد حسن محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية، البلد : بيروت، الطبعة : الأولى، سنة النشر: 1417 هـ ، 1997م. ج 40/2.
- السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي. **شرح السير الكبير**. الناشر: الشركة الشرقية للإعلانات، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1971م، عدد الأجزاء: 5.
- سعد بوفلاقة. **حوار الثقافات في الغرب الإسلامي**.
- الشافعي، محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي. **مسند الشافعي**. الناشر دار الكتب العلمية، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 1.
- الشربيني، محمد الخطيب الشربيني. **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**. الناشر دار الفكر، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 4.
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني. **تفسير القرآن العظيم**. عدد الأجزاء: 9.
- الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري. **تاريخ الطبري**. الناشر دار الكتب العلمية، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 5.
- الطبري، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري. **تفسير الطبري** (جامع البيان عن تأويل آي القرآن). تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م، عدد الأجزاء: 26 مجلد 24 مجلد ومجلدان فهارس، (11 / 168).
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري. **اختلاف الفقهاء**. الناشر: دار الكتب العلمية، عدد الأجزاء: 1.
- عبد الإله بلقزيز. **العنف والديمقراطية**. منشورات الزمن (ماي 1999م) ، ص 26 .

- العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين. **القول المفيد على كتاب التوحيد**. دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الثانية، محرم 1424هـ، عدد الأجزاء: 2. 499/1.
- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفى بدر الدين العيني. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**. (المتوفى: 855هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: 25 × 12.
- غوستاف لوبون. **حضارة العرب**. ترجمة: عادل زعير، الناشر: مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة القاهرة - مصر، عام النشر: 2012 م، عدد الصفحات: 642.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م، عدد الأجزاء: 20 جزءاً (في 10 مجلدات).
- الكاساني، علاء الدين الكاساني. **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**. الناشر دار الكتاب العربي، سنة النشر 1982، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 7.
- المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا. **تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي**. الناشر دار الكتب العلمية، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 10.
- المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي. **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**. تحقيق محمود عمر الدمياطي، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر 1419هـ - 1998م، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 16 × 8.
- المجددي البركتي، محمد عليم الإحسان المجددي البركتي. **التعريفات الفقهية**. دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان 1407هـ - 1986م)، الأولى، 1424هـ - 2003م
- محمد بن عبد الرحمن المغربي أبو عبد الله. **مواهب الجليل لشرح مختصر خليل**. الناشر دار الفكر، سنة النشر 1398، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 6.
- محمد عمارة. **المفهوم الإسلامي للحرية**. مجلة الأزهر ذوالقعدة 1433 هـ، أكتوبر 2012م الجزء "11" السنة "85".
- محمود عبد الرحمن عبد المنعم. **معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية**. دار الفضيلة. 330.
- المرداوي، علي بن سليمان المرداوي أبو الحسن. **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**. تحقيق محمد حامد الفقي، الناشر دار إحياء التراث العربي، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 12.
- مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي. **غاية المنتهى في جمع الإقناع والمنتهى**. اعتنى به: ياسر إبراهيم المزروعى، رائد يوسف الرومي، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان، الكويت، الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م، عدد الأجزاء: 2.

مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري. **صحيح مسلم**. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر دار إحياء التراث العربي، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 5.

المنتقى شرح موطأ مالك للباجي

النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي. **المجتبى من السنن**. تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية، سنة النشر 1406 - 1986، مكان النشر حلب، عدد الأجزاء 8.

النسفي. **مدارج التنزيل وحقائق التأويل**. طبعة القاهرة. 1344 هـ.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي. **المجموع شرح المذهب مع تكملة السبكي والمطيعي**. الناشر: دار الفكر، (طبعة كاملة معها تكملة السبكي والمطيعي).

النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي. **صحيح مسلم بشرح النووي**. الناشر دار إحياء التراث العربي، سنة النشر 1392، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 18*9.

الهيثمي، علي بن أبي بكر الهيثمي. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**. الناشر دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي، سنة النشر 1407، مكان النشر القاهرة، بيروت، عدد الأجزاء 10.

ول ديورانت وويليام جيمس ديورانت. **قصة الحضارة**. تقديم: الدكتور محيي الدين صابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، الناشر: دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، عام النشر: 1408 هـ - 1988 م، عدد الأجزاء: 42 وملحق عن عصر نابليون.

Fayda, Mustafa. "Zimmî". **Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi**. 44/428-434. İstanbul: TDV Yayınları, 2013.

Kenanoğlu, M. Macit. "Zimmî". **Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi**. 44/438-440. İstanbul: TDV Yayınları, 2013.

Yaman, Ahmet. "Zimmî". **Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi**. 44/434-428. İstanbul: TDV Yayınları, 2013.

السيرة الذاتية

رزگار أدريس عبدالله ، ولد الباحث في مدينة دهوك - العراق سنة 1994م، تلقيت تعليم المرحلة الابتدائية في القرية ببيافا والمرحلة المتوسطة والاعدادية في مدينة قسروك.

تخرج في جامعة صلاح الدين - أربيل سنة 2018م. وحصل دراسة الجامعية في العلوم الإسلامية.

وبعد ذلك اردتُ أن أحصل على شهادة ماجستير كي أخدم مجتمعي بعلمي وعملي.

